الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم: اللغة والأدب العربي

تخصص: دراسات أدبية

البنية الزمنية في رواية "الأندلسي الأخير" لأحمد أمين

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة ليسانس

إعداد الطالبتان:

- قداشي إلهام
- خليل خولة

تحت إشراف الأستاذ:

- سعيدي منير

السنة الجامعية:2024/2023

إهـــداء

بسم الله الرحمان الرحيم

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

أهدي تحياتي إلى كل من مدّ لي يد العون لإتمام بحثي هذا في أجله.

خاصة إلى المرأة التي سهرت الليالي من أجلي، ورافقتني في كل لحظة من حياتي

إلى نبع الحنان، أمي بارك الله في عمرها

وإلى من أحمل اسمه بكل فخر، إلى الذي تعب وعانا مشقة الحياة من أجلي أبي

الغالي، أطال الله في عمره

إلى سندي في الحياة أخواتي بارك الله فيكم وجزاكم كل خير.

وإلى كل أصدقائي وأحبائي

أهدي ثمرة هذا النجاح.

إلهـــام

إهـــداء

أتقدم بإهداء ثمرة هذا العمل المتواضع إلى كل شخص عزيز على قلبي

وإلى من قال فيها ربنا تعالى (وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا)

إلى نبع الحنان وهبة الرحمان لي أمي الغالية وإلى والدي العزيز، وإلى كل إخوتي

بدون استثناء وإلى جميع عائلتي الكبيرة

وإلى صديقاتي خاصة أحلام وأسماء

وإلى كل من علمني حرفا خلال مسيرتي دراسية

خولـــة

شكر وعرفان

قال تعالى في كتابه الكريم {لئن شكرتم لأزدنَّكم}

نشكر الله أولا وأخيرا على إتماما انجاز مذكرتنا في الصحة والعافية، فالحمد لله دائما وأبدا في السراء والضراء، الحمد لله الذي علمنا وأنار طريقنا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»

فنتقدم بجزيل الشكر والتقدير الى من لم يبخل علينا بنصائحه القيمة، وتوجيهاته لنا وتصحيحه لأخطائنا، وصبره علينا الأستاذ المشرف "سعيدي منير" فشكرا لك

ولا ننسى شكر كل من ساعدنا وأعاننا على اتمام هذه المذكرة من أصدقاء وأقارب وإدارة خاصة الاستاذ محمد بوتالي الذي له الفضل في اختيار موضوعنا هذا.

مقدمة

تعتبر الرواية من بين الأجناس الأدبية التي حظيت باهتمام واسع من قبل الأدباء والنقاد في العصر الحديث، وذلك لأهميتها الواسعة في الساحة الأدبية وكذلك طريقة بنائها وتنظيم عناصرها لأنها تعتبر ملحمة العصر، بما فيها من أحداث واقعية وخيالية مشوقة، إذ أنها تتشكل أساسا من ثلاثة عناصر أساسية في بناءها وهي البنية الشخصية والبنية المكانية والبنية الزمانية.

ولقد اعتمدنا في دراستنا هذه على دراسة عنصر الزمن، لأن مكون الزمن يلعب دورا مهما في سرد أحداث "رواية الأندلسي الأخير" لأحمد أمين خاصة وأنها رواية تاريخية لاحظنا أنها قد انبنت على استعمال مختلف التقنيات والمفارقات الزمنية.

واختيارنا لهذه الرواية كمدونة لبحثنا لم يكن إلاّ فضول منا في البداية، سرعان ما تحول إلى حب وشغف وذلك لما تحمله هذه الرواية من أحداث وحقائق تاريخية تدور حول خروج وتعذيب المسلمين في الأندلس، كما أن هذه الرواية جديدة وغير مدروسة من قبل، وعليه تم صياغة عنوان بحثنا على النحو الآتي «البنية الزمنية في رواية الأندلسي الأخير لأحمد أمين».

وبغرض دراسة البنية الزمنية في هذه الرواية كان لابد علينا من طرح عدة تساؤلات منها:

- ما مفهوم الزمن؟ وما أهميته في الرواية؟ وماهي أنواعه؟
- ماذا نعني بالبنية السردية والزمنية؟
- ما هي المفارقات الزمنية وما هو إيقاع الزمن في الرواية، وهل وفق أحمد أمين في استخدام هذه التقنيات السردية في الرواية؟

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على إتباع خطوات التحليل البنيوي خصوصا عند جيرار جنيت، والذي يعد مناسبا للدراسات الزمنية في السرد، كما اعتمدنا على إتباع الخطة التالية:

مدخل تناولنا فيه مفهوم الزمن وأهميته، أنواعه، إضافة إلى مفهوم البنية السردية.

أما عن الفصل الأول فقد تطرقنا فيه لمختلف المفارقات الزمنية في رواية الأندلسي الأخير من استرجاع (خارجي وداخلي وتكراري وتكميلي)، الإستباق وأنواعه الإستباق كإعلان والإستباق كتمهيد)، وحاولنا في كل مرة استخراج الأمثلة لمختلف التقنيات السردية من الرواية.

أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه المدة وإقاع الزمن في الرواية بحيث قمنا بتعريف تسريع السرد وذكرنا أنواعه (الحذف والخلاصة)، وتقنية تعطيل السرد من (مشهد ووقفة)، كما قمنا باستخراج مختلف الأمثلة من رواية الأندلسي الأخير.

وأنهينا البحث بخاتمة والتي هي عبارة عن استنتاج أو خلاصة للنّتائج التي وصلنا إليها في هذه الدراسة.

ثم أضفنا ملحق قمنا فيها بتلخيص أحداث الرواية.

- وأنهينا البحث في الأخير بذكر أيضا قائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

وقد اعتمدنا على عدة مصادر ومراجع مهمة في بحثنا هذا على غرار كتاب خطاب الحكاية بحث في المنهج "لجيرار جنيت"، وكتاب تقنيات السرد في النظرية والتطبيق "آمنة يوسف "وكتاب بناء الرواية "سيزا قاسم" وغيرها.

ولقد واجهتنا عدة صعوبات في بحثنا هذا نذكر منها ضيق الوقت وسرعته، وكذا كثرة المصطلحات والمفاهيم الجديدة علينا في مجال علم السرد، إضافة إلى كثرة الأمثلة في الرواية وبالتالي صعوبة توظيفها والإحاطة بها كلها.

وفي الختام نتمنى أن نكون وفقنا في بحثنا هذا، كما نحمد الله ونشكره جزيل الشكر على توفيقه لنا في هذا العمل، كما نتوجه بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ المشرف "سعيدي منير" على صبره علينا وتزويده لنا بمختلف المراجع التي اعتمدناها في بحثنا هذا، والحمد لله رب العالمين.

مدخل: مفاهيم عامة حول الزمن والزمن السردي

تعددت الأجناس الأدبية وتنوعت عبر مرِّ العصور وإلى اليوم، ويعد جنس الرواية من بين أهم الأجناس الأدبية التي إتخذت مكانة مرموقة في الآداب السردية الحديثة، و لعل الزمن يعدّ من أبرز العناصر المكونة للرواية على الإطلاق، إضافة إلى الشخصيات و المكان، إلاّ أنّ النقاد و الباحثين قد إختلفوا في تعريف الزمن وتضاربت الآراء حوله، فما هو الزمن ؟

1. مفهوم الزمن:

أ. الزمن لغة:

لقد ورد تعريف الزمن في لسان العرب لابن منظور في قوله «الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، والجمع أزمن وأزمان وأزمنة، أزمن الشيء طال عليه الزمان وأزمن بالمكان قام به زمان، والزمان يقع على الفصل من فصول السنة وعلى ولاية الرجل وما أشبه» [1]، وهذا ما يدل على أن الزمن هو الوقت قليله أم كثيره، وهذا ما تحدث عنه ابن منظور وكذلك الفيروز أبادي في قاموس المحيط، حيث عرف الزمن على أنه «اسم لقليل الوقت وكثيره، والجمع أزمان وأزمنة وأزمن»[2]

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1990، المجلد 04، مادة (ز.م.ن.)، ص 389

[2] الفيروز أبادي، قاموس المحيط (مادة ز.م.ن)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج4، ط1، 1999، ص 225

ب. الزمن اصطلاحا:

لقد تعددت تعاريف الزمن واختلفت باختلاف مجالات استعماله، فالزمن الفلسفي مثلا ليس بالزمن الرياضي أو الفيزيائي وليس بالزمن الأسطوري ولا النفسي، ففي كل مجال له تعريفه الخاص الذي ينفرد به، «إذ يعَد الزمن من بين الإنتظامات التي تميِّز بين الحكاية والخطاب، فالجوهر الأساسي في الأحداث هو نظام وقوعها المنطقي والسببي ونجد المستوى الأول للخطاب يخضع لنظام توالي الأحداث كما وقعت بالفعل. أمَّا مستوى الخطاب فإن ذكر الأحداث يتم التحكم فيه من قِبل السارد»[1] ، و الزمن من الأشياء الذي لا يمكن التخلي عنها في الحياة لأن «الزمن هو الحياة نفسها، أو الوعي بالحياة ، ومن ثم أمكن أن يُقال : أن المكان هو عالم (الثوابت) بينما يندرج الزمان في عالم المتغيرات»[2] ، ونجد الزمن ذو حركة مستمرة غير ثابتة وهو « مفهوم معقد لم يتمكن العلماء من الوصول إلى حقيقته بعد وهو ناشئ من دوران الكرة الأرضية حول محورها، وعلى مدار معين، مرتبطة فيها بالشمس يعني أن الأرض تجري في ذات الوقت حول الشمس على مدار معين إضافة إلى جريانها حول محورها، فيمتخض عن الأول المواسم الأربعة ، وعن الثاني الليل و النهار المتعاقبات والوحدة القياسية للزمن هي الساعة»[3]، ولقد أهتم الأدباء

---

[1] عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب 2008، ص 90، 91

[2] عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة، بيروت ط1 ،1986 ص 155

3 فريد الدين آيدن، الأزمنة في اللغة العربية، دار العبر للطباعة والنشر، اسطنبول، 1997، ص112

والفلاسفة و المفكرين بالزمن وعلاقته بالكائنات ومختلف مظاهر الحياة « إن الزمن هو المشكل بالكائنات و منها الكائن الإنساني ، يتقصى مراحل حياته ويتولج في تفاصيلها»[1] ،إذ أن مرور الزمن هو الذي يشعرنا بتقدم العمر واقتراب حياتنا من الزوال و الفناء.

2. أنواع الزمن:

يعتبر الزمن في الرواية كما أشرنا سابقا من أهم العناصر الفنية في البنية الروائية، حيث يمثل الإطار الزمني الذي تدور فيه أحداث الرواية، أو القصة، ويمكن تقسيم الزمن إلى عدة أنواع فالزمن عموما ليس زمن واحد ومن بين أنواع الزمن نجد:

أ. الزمن الطبيعي (الموضوعي):

يتميز هذا النوع من الزمن بأنه يُعرف بحركته المتقدمة دوما إلى الأمام، اتجاه الآتي ولا يعود إلى الوراء، والزمن الطبيعي لا يمكن تحديده عن طريق الخبرة، إنما هو عام وموضوعي ويتجلى الزمن الموضوعي، مثلا في تعاقب الفصول والليل والنهار، وبداية الحياة وتعدد مراحلها من الميلاد إلى الموت»[2]

فالزمن الطبيعي هو مفهوم عام لا يمكن تفسيره أو تحديده بالكامل من خلال خبرات فردية للأشخاص، فهو لا يمكن في أي حال من أحوال إنكار وجوده لأنه جزء

1 عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة الكويت 1998، ص 199

2 ينظر: مها حسن القصراوي، الزمن في ا لرواية العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2004، ص17

لا يتجزأ من العلاقة الدائمة الموجودة بين الكون والإنسان وبين والبيئة فهو يتحرك باستمرار وفق حركة الأرض وتأثيراتها على مختلف الظواهر الطبيعة.

ب. الزمن النفسي :

يختلف الزمن النفسي من شخص لآخر كل حسب خبراته وتجاربه الشخصية المتصلة بوعيه ووجدانه، إنَّ الزمن النفسي «نتاج حركات أو تجارب الأفراد وهم فيه مختلفون، حتى إننا يمكن أن نقول لكل منا زمان خاصا يتوقف على حركته وخبرته الذاتية فالزمن النفسي لا يخضع لقياس الساعات مثلما يخضع له الزمن الموضوعي، وذلك باعتباره زمنا ذاتيا يقيس صاحبه بحالته شعورية»[1]، ومما سبق يمكن القول إن لكل شخص منا زمنه الخاص الذي يعيش فيه وحده، والذي يتكون حسب ظروف حياته وخبراته الذاتية، وأسلوب حياته الذي يختلف فيه عن كثير من الناس، فكل منا فريد ومتميز عن الآخرين.

لذلك فالزمن النفسي يختلف عن الزمن الطبيعي، وهو زمن لا يخضع لقياسات الساعات، الدقائق، الأيام، والشهور كما الزمن الطبيعي. وذلك راجع لاعتبار الزمن النفسي زمنا ذاتيا يعتمد على التجربة الشخصية. ويمكن أن يختلف حسب شعور كل شخص، كاللحظات السعيدة والحزينة فهي تختلف حسب اختلاف إدراك الشخص

[1] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص17 ،18

بمرور الزمن، فهناك اللحظة المشرقة المليئة بالنشوة التي تحتوي على أقدار العمر كله وهناك السنوات الطويلة الخاوية الرتيبة التي تمر كأنها عدم [1]

ج. الزمن الأسطوري:

الزمن الأسطوري هو زمن تعود أصوله إلى الماضي وإلى زمن الأساطير اليونانية، والخرافات القديمة. وهذا فيما يسمى أسطورة كرونوس «فهذا الموارد TITAN وهو ابن أورانوس ORANOS وجيا، GAIA أي السماء والأرض اعتاد أن يأكل أبناءه. لأنه نبوءة بأن أحدهم سيكون أقوى منه وبحيلة ما أنقذ منه ابنه زيوس ZIOS، الذي صار كبير الآلهة. فقد أصبح كرونوس رمزا للزمن، الذي لا يفنى[2] . حيث نلاحظ أن هذا النوع من الزمن غير واضح ومفهوم، لأنه تتداخل فيه الأفكار الأسطورية التي يصعب فهمها.

إلا أنه يمكن الاستفادة منه لتغيير الماضي والحاضر والمستقبل. فإن الزمن الأسطوري الذي «يتجلى فيه المقدس واللامقدس هو في مقابل ذلك نوع آخر لأنه تاريخي وسرمدي، وقد شكلت الأسطورة تصورها الخاص للزمن الميثولوجيا، تتعامل مع الزمن على أنه سلسلة من الأحداث التي لا تنتهي. ففكرة الزمن الأسطوري تقوم

[1] ينظر: كريم زكي حسام الدين، الزمن الدلالي، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط11،1991 ، ص38

[2] فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعة، ج1، مركز تحقيقات كاميهوترى علوم الإسلامي، د.ط، د.ت، ص648,649

على التجسيم»[1]. إلاّ أن الزمن الأسطوري تعود جذوره إلى الزمن الماضي، ويمتد إلى ما لا نهاية، حيث أنه يمكن الإستفادة منه في الحاضر من خلال إقامة الطقوس كالذبح وغيرها .... فالزمن الأسطوري زمن صالح لكل الأزمنة: الماضي، الحاضر والمستقبل.

3. أهمية الزمن السردي:

للزمن السردي أهمية بالغة في العمل الأدبي، إذ أنه «يحدد طبيعة الرواية وشكلها، ولأن شكل الرواية يرتبط ارتباطا وثيقا بمعالجة عنصر الزمن»[2] ولا يمكن سرد الأحداث دون التعامل مع عنصر الزمن لأنه أساس بناءها، ولأن الزمن من أهم العناصر المكونة للرواية أو أي جنس أدبي آخر «فهو ضروري في تصميم شخصيات العمل الأدبية و بناء هيكلها و تشكيل مادتها و أحداثها»[3]، فهو زمن يخلقه المبدع مخالفا بذلك الزمن الطبيعي فلا يمكن الإستغناء عنه لأن به يتشكل الإطار العام للأحداث و «يستحيل أن يفلت كائن ما، أو شيء ما، أو فعل ما، أو تفكير ما أو حركة من تسلط الزمنية»[4]، ولا يمكن سرد الأحداث دون التطرق إلى الزمن لأنه أساس بناءها وتركيبها إذ لا يوجد حدث يمكن أن يقع خارج إطار الرواية، وكذلك الزمن «يمثل محور الرواية وعمودها الفقري الذي يشد أجزاءها كما هو محور

[1] أحمد كمال زكي، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط2،200م، ص46

[2] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي بيروت 1989، ص07

[3] أ. سعاد الشابي، الزمن السردي في النص القصصي العربي، جامعة المدوارية، أدرار، ص255.

[4] المرجع السابق، ص256

الحياة ونسيجها، و الرواية فن الحياة فالأدب مثل الموسيقى هو فن زماني لأن الزمان هو وسيط الرواية كما هو وسيط الحياة»[1]، وعليه فللزمن دور مهم في توضيح أحداث الرواية وترتيبها حيث يساهم في تشكيل الحبكة وتقديم الأحداث للقارئ، فيتحقق فهم القارئ للأحداث و الشخصيات و الأماكن أكثر.

4. مفهوم البنية السردية:

قبل أن نتطرق لمفهوم "البنية السردية" علينا أولا الإشارة الى مفهوم "البنية" La Structure

أ. البنية لغة:

يعرف ابن منظور " البنية" في لسان العرب بقوله: «البنية من البناء والبناء مصدر بنى، وواحد الأبنية وهي البيوت»[2] والبِنية ما بُني، جمع (بنى)، ويقال فلان صحيح البنية أي أنه سليم الجسد، والبنية كل ما يبنى، وتطلق على الكعبة»[3]

ب. البنية اصطلاحا:

أما في الاصطلاح فتعرف البنية *La Structure* بأنها «عبارة عن ترجمة لمجموعة من العلاقات بين عناصر مختلفة أو

[1] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص28

[2] ابن منظور، لسان العرب، المجلد 04، ص130

[3] ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر، ط04 ،2004، ص102

عمليات مختلفة، تتميز فيما بينها بالتنظيم والتواصل بين عناصرها المختلفة»[1]

كما يعرفها "جيرالد برنس" البنية على أنها «شبكة من العلاقات الخاصة بين المكونات العديدة وبين كل مكون على حدة والكل» [2]

ج. السرد لغة:

ورد تعريف السرد في لسان العرب بأنه «تقدمة الشيء إلى الشيء تأتي به متسقا بعضها في أثر بعض ... والسرد الحرز في الأديم وقيل سردها: نسجها وهو تداخل الخلق بعضها في بعض» [3]، كما نجد تعريف السرد في كتاب العين بأنه «سرد القراءة والحديث يسرده سردا، أتى يتتبع بعضها بعضا»[4]، ويظهر من تعريفات السرد المختلفة كلها أنها تصب في معنى واحد في شتى المعاجم والقواميس، وهو متابعة الشيء للشيء.

د. السرد اصطلاحا:

[1] ينظر: صلاح الدين فضل، نظرية البنائية، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط03 ،1985، ص122

[2] عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، المباشر عن الدراسات والبحث الإنسانية الاجتماعية، 1986، ص 18

[3] ابن منظور، لسان العرب، ص165

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تج مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، ج7، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، الجمهورية العراقية، 1984، ص 226

يجدر الإشارة الى أن انطلاقة الدراسات السردية الحديثة كانت عند الشكلانيين الروس، وقد قدموا للسرد مجموعة من التعريفات من بينها تعريف "**تشوماشوفسكي**" «والذي قسّم السرد إلى نوعين " سرد موضوعي" و "سرد ذاتي"، إننا نسمي متنا حكائيا: بمجموع الأحداث المتصلة فيما بينها والتي يقع إخبارنا بها من خلال العمل ...في المقابل يوجد المبنى الحكائي الذي يؤلف من الأحداث نفسها، بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل»[1]، والسرد عبارة عن عملية إبداعية لإنتاج الحكي على حسب قول آمنة يوسف التي ترى أن السرد «نسج الكلام ولكن في صورة حكي» [2].

البنية السردية:

نستنتج من التعريفات السابقة التي قدمناها لمصطلحي "السرد" و "البنية" أن البنية السردية «هي العلوم التي تبحث في التشكيل نظيرة لعلاقات النص السردي (الحكي والقصة)»[3]، في العصر الحديث، فالبنية السردية عند "فوستر" مرادفة للحبكة، وعند "رولان بارت" تعني التعاقب والمنطق، وعند "أدوين" تعني الخروج عن التسجيلية إلى تغليب أحد العناصر الزمانية أو المكانية عن العناصر الأخرى[4]

[1] تودوروف وآخرون، نظرية المنهج الشكلي، ص180

[2] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 2015، ص 38 39

[3] عبد القادر عميش، شعرية الخطاب السردي، (سردية الخبر)، دار الألمعية، الجزائر، ط1 ،2011 ،1991، ص13

[4] ينظر: عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، ص42

وتتشكل البنية السردية من ثلاثة بنى أساسية هي بنية المكان، وبنية الشخصيات، وبنية الزمان، وكل بنية لها مجال واسع في الدراسات السردية الحديثة، وما يهمنا في بحثنا هذا هو تسليط الضوء على البنية الزمنية، لمعاينة الكيفية التي تشكل من خلالها المكون الزمني أثناء السرد.

5. الزمن السردي عند جيرار جنيت:

انطلاقا من التمييز الذي قام به الشكلانيين الروس بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي، قام جيرار جنيت بالتمييز بين القصة والحكاية. فهو يرى أن لكل منها زمنها الخاص وترتيبها الخاص، فيقول في هذا الصدد: «بعد اتخاذنا هذه الاحتياطات سندرس العلاقات بين زمن القصة وزمن الحكاية (الكاذب) طبقا لما يبدو لي تحديدات أساسية هي الصلات بين الترتيب الزمني الكاذب لتنظيمها في الحكاية والصلات بين المدة المتغيرة لهذه الأحداث أو المقاطع القصصية والمدة المادية (في الواقع طوال النص) لروايتها في الحكاية وأعني صلات السرعة، وأخيرا صلات التواتر، أي –عبارة تقريبية فقط– العلاقات بين قدرات تكرار القصة و قدرات تكرار الرواية »[1] لقد قسم جيرار جنيت دراسة الزمن الروائي إلى ثلاث محاور تتشكل من خلال المقارنة بين زمن القصة وزمن الحكاية وهي كما يلي:

أ. الترتيب:

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية بحث في المنهج، تح محمد معتصم وعبد الحليم الأزدي، ط27، ص46–47

حيث عرف جيرار جنيت الترتيب بأنه «تعني دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما، مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة»[1]. وينتج عن ذلك المفارقات الزمنية. ويقصد جيرار جنيت بالمفارقات الزمنية «أنها تتمثل في مختلف أشكال التنافر بين ترتيب القصة وترتيب الحكاية والوقوف على هذه المفارقات تمكن من الوصول إلى المرحلة التالية من مراحل البحث في الزمن»[2]، يذكر "جيرار جنيت" بأن للمفارقات الزمنية «خاصية تتميز بها الكتابات المعاصرة بينما النصوص التقليدية تتتابع فيها الأحداث وفق التسلسل كرونولوجي»[3]، شبيه بتسلسل الزمن الطبيعي العادي ويقصد "جيرار جنيت" بالمفارقات الزمنية أنها تنشأ عن مختلف أشكال التنافر بين نظام الزمن في القصة، ونظام الزمن في الحكاية. ومن أشكال هذه المفارقات ذكر "جيرار جنيت" الإستباقات والإسترجاعات، وهي عبارة عن استذكار للأحداث التي وقعت في الزمن الماضي. والاسترجاع حسب جيرار جنيت هو كل ذكر لاحق سابق للنقطة التي نحن فيها[4]

ب. الإستباق:

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية ص46-47

[2] المرجع السابق ص80

[3] المرجع السابق، ص82

[4] ينظر: المرجع السابق، ص 81

هو عكس الإسترجاع وهو عبارة عن توقع أو إشارة إلى أحداث ستأتي في الزمن المستقبل.

ج. المدة أو السرعة:

وهي المحور الثاني في دراسة الزمن عند جيرار جنيت ويعني بها مقارنة مدة «حكاية ما بمدة القصة التي ترويها»[1] أو مقارنة المدة المتغيرة لهذه الأحداث مع ما يقابلها من المقاطع القصصية. ويضبط "جيرار جنيت" دراسة المدة أو السرعة في أربع حركات سردية هي: المشهد (الحوار) والوقفة (الوصف) والحذف والمجمل.

د. التواتر:

ويشكل التواتر المحور الثالث في دراسة الزمن السردي عند جيرار جنيت ويعني به «دراسة العلاقات بين قدرات تكرار القصة وقدرات تكرار الحكاية»[2] ويعتبر جيرار جنيت أول من نّبه إلى أهمية دراسة علاقات التكرار على أنها مظهر من المظاهر الأساسية في الزمنية السردية[3]، وذلك أن في تكرار سرد الحدث تكرار الزمن بطريقة أو أخرى.

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص101

[2] المرجع السابق ص 47

[3] ينظر: المرجع السابق ص 129

الفصل الأول:

المفارقات الزمنية في

رواية الأندلسي الأخير

تمهيد:

تعد المفارقات الزمنية من أهم التقنيات السردية التي يستعملها كتّاب الرواية الحديثة للتلاعب بالزمن السردي وتكسير رتابته الخطية، ويرى "جيرار جنيت" أن المفارقات الزمنية «تعني دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بِنظام تتابع الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة، وذلك لأن نظام القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة أو يمكن الاستدلال عليه من القرينة الغير مباشرة» [1] وعليه من خلال المقارنة بين نظام الأحداث في القصة و نظام الأحداث في الرواية يقوم الباحث بتحليل وترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الرواية، لفهم كيفية تأثير الأحداث على الحكاية والقصة بشكل عام، وعند دراسة النظام أو الترتيب في القصة يمكن للباحث ربط هذا الترتيب بتطورات وتغيرات في القصة وكيف يؤثر ذلك على الطريقة التي يتم بها السرد في الحكاية، فتظهر من خلال ذلك مختلف التغيرات و التشوهات الزمنية التي يسميها "جيرار جنيت" بالمفارقات الزمنية ويختصرها في الاستباقات و الاسترجاعات بأنواعها.

[1] جيرار جينت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ص47

1. الإسترجاع:

وهو نوع من أنواع المفارقات الزمنية، ويعني الرجوع بالذاكرة إلى الوراء وتذكر أشياء وأحداث وقعت في الماضي، «وبالتالي فالإسترجاع يُحيلنا الى أحداث سابقة على الزمن الحاضر، حاضر السرد»[1]. والإسترجاع غالبا يكون راجع الى تلاعب الراوي بالأزمنة، فيقدم ويأخر في أثناء السرد وعليه تنتج هذه المفارقة الزمنية.

ويطلق أيضا على الإسترجاع بمصطلحات أخرى مثل "الاسترداد" أو " السرد الاستذكاري"، وهو «أن يتوقف الراوي عن متابعة الأحداث الواقعة قبل، أو بعد بداية الرواية» [2].

والإسترجاع من بين التقنيات السردية الموجودة منذ القديم إذ «يرى جيرار جنيت أن الإسترجاع نشأ مع الملاحم القديمة، ولكنه تطور بتطور الفنون السردية، فانتقل إلى الرواية الحديثة، بحيث أصبح يمثل أهم المصادر الأساسية للكتابة الروائية وقد تطورت تقنية الإسترجاع في الرواية الحديث نتيجة لتطور النظريات الفلسفية التي تختص

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2015، ص 85.

[2] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2015، ص 104

بدراسة الشخصية الإنسانية، ومستويات تشكلها ودرجة وعيها الذهني عبر تطور مراحل الزمن وتغيراته»[1].

وللإسترجاع أهمية بالغة في السرد الروائي، كونه يعتبر تقنية تتمحور حول تجربة الذات، وتعادل وفقا للمصطلح النفسي ما يسمى بالاستبطان أو التأمل الباطني، كما أنه يقوم بسد الفجوات التي خلّفها السرد [2] ، ويمكن أن نقف على عدة أنواع من الإسترجاع وهي على النحو الآتي:

1.1. أنواع الإسترجاع:

ينقسم الإسترجاع الى ثلاث أنواع وهي:

أ. الإسترجاع الخارجي:

وهو الإسترجاع الذي يكون خارج الإطار الزمني للرواية «فيلجأ إليه الكاتب لملء فراغات زمنية تساعد على فهم مسار الأحداث»[3]، فالإسترجاع الخارجي يقوم بسد الفراغات والفجوات الحكائية، التي قد تحدث في حاضر السرد الروائي، مؤديا بذلك وظيفة بنيوية تساهم في حفظ انسجام السرد وتماسكه [4].

---

[1] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص 192

[2] ينظر: مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص192

[3] سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، سلسلة (إبداع المرأة)، ص58

[4] ينظر: آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص 108 ،109

كما يرى "جيرار جنيت" أن الإسترجاعات الخارجية «لا توشك في أي لحظة أن تتداخل مع الحكاية الأولى، لأن وظيفتها الوحيدة هي إكمال الحكاية الأولى عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك»[1]

وبالعودة الى رواية "الأندلسي الأخير" لأحمد أمين نلاحظ أن تقنية الإسترجاع من أهم التقنيات السردية التي انبنى عليها السرد ونجد الإسترجاعات الخارجية في عدّة مقاطع من الرواية ومثال ذلك قول الراوي : «في تلك اللحظة بدأت أسترجع كل شيء عن المورسكيين بعد سقوط الأندلس سنة 1492م في يد الاسبان ...التي قامت بحرق الآلاف منهم وقتلهم بأبشع الطرق بعد تعذيب لا يحتمله بشر»[2]، في هذه اللحظة بدأ الراوي تذكر كيف كانت محاكم التفتيش تعذب المسلمين، ويجبرونهم على ترك الإسلام وفعل المحرمات، كتناول لحوم الموتى ولحم الخنزير، كما أنهم قاموا بتحريم اللغة العربية، ومن وُجد معه كتاب مكتوب بالعربية حُرق حيا.

كما نجد الإسترجاع الخارجي في قول الراوي «منذ سنوات عديدة تعرفت على فرحات وتطودت بيننا علاقة حميمية»[3]، هنا الراوي يعود بنا إلى سنوات إلى الوراء ليعرفنا على علاقته الطيبة مع بائع الكتب فرحات، وبالتالي هو يسد فجوة زمنية من الماضي ليوضح للقراء كيف تكونت علاقته مع فرحات منذ زمن بعيد.

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ص 61.

[2] أحمد أمين، رواية الأندلسي الأخير، حروف منثورة للنشر الالكتروني، ط1 2017، ص 13 الى 16

[3] الرواية، ص09

ونلتمس الإسترجاع الخارجي في قول علي بدية: «فطوال سنوات طويلة ظنوا أن المسلمون في إسبانيا انتهوا نهائيا إما بالقتل وإما بالتنصير»[1]، فمحاكم التفتيش كانت تعتقد أن المسلمون تم القضاء عليهم نهائيا في إسبانيا، لكنهم وجدوا مؤخرا آخر مسجد للموريسكيون في غرناطة ممّا سبب لهم فشلا وصدمة كبيرة.

كما نجد الإسترجاع الخارجي في رواية "الأندلسي الأخير" من الصفحة 25 الى غاية الصفحة 51، وهي المدة التي تغطي أحداث الخمسة أيام الأخيرة في غرناطة التي كتبها " أبي الحسن الغرناطي " في المحرم 878 هـ الموافق ل 1491م. حيث وصف لنا حال غرناطة تلك الأيام وحزنها على مقتل "موسى" الذي كان أملهم الأخير في الدفاع عن الأندلس، ولقاء "أبي الحسن الغرناطي" بصديقه "زيدون" الذي تخلله الصمت والحزن على عكس الأيام السابقة، وتسليم "أبي عبد الله "غرناطة لملوك الكاثوليك.

وهذا استرجاع خارجي آخر يظهر في قول علي بدية «لازلت أذكر كيف كنا ندخل هذا المكان ... نسلم بها على بعضنا البعض حتى الهمس كان محرما علينا»[2] ، حيث تذكر علي بدية كيف كانوا يدخلون إلى الكنيسة بكل خزن وألم فقد بقي هذا المشهد في ذاكرة علي بدية يتألم كلّما تذكره.

[1] الرواية، ص 20

[2] الرواية، ص 53

كما نلتمس الإسترجاع الخارجي في قول علي بدية « وأخذتني الذكرات بعيدا إلى بداية حياتي، وأول لقاء لي بالشيخ عمر، أخذت الذكريات تطوف بي إلى البداية ...لكني لم أمنحهم تلك الفرصة »[1]، بدأ "علي بدية" بتذكر حياته الماضية، كيف علمه أبوه اللغة العربية وتعاليم الدين الاسلامي عندما كان عمره ست سنوات، وتعرفه على الشيخ عمر معلم المورسكيين وإمامهم كما أنه حدثنا عن مقتل عائلته على يد محاكم التفتيش وذلك بحرقهم بالحفلة الخاصة بحرق المورسكيين، وتحدث أيضا عن حياته في الكنيسة وتعلمه المسيحية في النهار والقرآن والحديث في الليل، وبذلك هو يغطي عن طريق هذا الإسترجاع فترة مهمة من حياته وهي فترة الطفولة، التي هي من أهم الفترات في حياة الانسان.

ب. الإسترجاع *الداخلي:*

وهو النوع الثاني من الإسترجاعات وهو الذي يكون مداه داخل زمن الرواية وهو الذي يعود إلى حدث داخل أحداث الرواية فيعود إلى حدث بعد بداية الرواية، وليس قبلها ولذلك سمي داخليا لأنه يكون داخل الإطار الزمني للرواية لا خارجه[2]، فالإسترجاع الداخلي هو العودة الى أحداث ماضية شرط ألا يتجاوز الإطار الزمني للقصة، ويتمثل أيضا في إسترجاعات ذات علاقة بإطار الحكي الأول غير أن ذكرها

[1] الرواية، ص 55 الى ص66

[2] ينظر: إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم، لبنان، بيروت، ط1، 2009، ص55

يأتي متأخرا مقارنة بالأحداث الواردة ...وتكون مختلفة من ناحية المضمون عن المحكي الأول [1].

الإسترجاعات الداخلية نوعان:

1. الإسترجاع التكميلي:

هذا النوع من الإسترجاعات جاء خصيصا لتغطيه الفجوات وملأ الفراغات في القصة عن طريق الرجوع إلى أحداث ووقائع غفل عنها الراوي في بداية الحكي، وترد الاسترجاعات التكميلية في النص «للتذكير بأحداث ماضيه سابقه الذكر»[2] مع القيام بإكمالها.

ويتجلى الإسترجاع التكميلي في رواية "الأندلسي الأخير" في قول الراوي «لسنوات طويلة اعتدت على طريقة حياتي ...فكل شيء أحببته أصابني منه الملل إلاّ الكتب»[3] وهنا يعود بنا الراوي إلى ماضيه القريب، ويحدثنا عن حياته حينما كان يحب نفسه، لكنه يتجنب الصدام معها، ويتجنب مواجهة الآخرين، كما يبين لنا كيف أنّ القدر غيَّر مسار حياته.

[1] ينظر سلمى خوخو، البنية الزمنية في رواية "القلاع المتآكلة" لمحمد ساري، ع 16، ص 105

[2] G. Genette, Figure 3, edition seuil 1972, p101

[3] الرواية، ص 8، 9

كما نجد الإسترجاع التكميلي في قول الراوي «دائما كان يأتيني بكتب نادرة توقف طبعها منذ عشرات السنين ...بدأت في إعداد طقوس القراءة»[1] ، حيث عرفنا الراوي بالكتب التي كان يبيعها "فرحات"، والتي كان يحب قراءتها كثيرا، تلك الكتب القديمة البالية المصفرَّة أوراقها، والتي تنبعث منها رائحة التراب، كما وصف لنا المزاج المتعكر الذي كان عليه فرحات ذلك اليوم بسبب عدم قدرته على تسويق الكتب التي اشتراها بثمن باهض.

ويرد الإسترجاع التكميلي أيضا في قول الراوي «كنت أشعر بأني أعيش تلك الأحداث وأحيا في زمن المورسكيين كانت دموعي تتساقط كلما مررت على تلك الأحداث التي عانى منها المورسكيين»[2]، بحيث وصف لنا الراوي شعوره حينما قرأ معاناة المورسكيين، وبدأ بترجمة مخطوطات على بدية.

ونجد الإسترجاع التكميلي على لسان "علي بدية" فيقول «منذ شهر تقريبا قامت محكمة التفتيش بالتوصل إلى مكان آخر مسجد للمورسكيين في غرناطة»[3]،حيث عاد بنا "علي بدية" مرّة أخرى إلى ثلاثة أشهر للوراء ليخبرنا أن محكمة التفتيش عثرت على آخر مسجد بعد أن كانوا يظنون طوال سنوات أنهم تخلصوا من كل المسلمين وآثارهم.

---

[1] الراية، ص10 ،11

[2] الرواية، ص 17

[3] الرواية، ص20

ونجد الإسترجاع التكميلي على لسان "علي بدية" عندما يتذكر علاقته بإمام المسجد فيقول «كنت همزة الوصل بينهم وبين الشيخ عمر ...لم يعد هناك شيخ للمورسكيين بل وحتى لم يعد هناك مورسكيين»[1]، هنا يتذكر "علي بدية "علاقته بالشيخ عمر الذي كان معلم وإمام المورسكيين.

ولأن الإسترجاع التكميلي وظيفته الأولى في السرد هو تغطية الفجوات الزمنية الناقصة، ها هو "علي بدية" يعود أثناء الحكي إلى الماضي القريب ليبين لنا المعاناة النفسية التي كان يعاني منها وذلك من كثرة التفكير فيقول «مضت أيام عديدة أرهقت فيها من كثرة التفكير»[2].

2. الإسترجاع التكراري:

وهذا النوع من الإسترجاعات نجده يقارن بين الماضي والحاضر بحيث يعود فيه الراوي إلى الماضي بطريقة مباشرة وبهذه المقارنة «يصبح الزمن الماضي يندرج في الحاضر والحاضر يندرج في الماضي»[3].

وسمي بالإسترجاع التكراري لأنه يكرر الأحداث فنجد مثلا في "رواية الأندلسي" الأخير قول الراوي «من عادتي عند شراء كتب جديدة أن أضعها كلها أمامي...كنت

[1] الرواية، ص22

[2] الرواية، الرواية، ص95

[3] محمود عيسى، تيار الزمن في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، 1991، ص33

مدهوشا مما عثرت عليه كنت أشعر أني في حلم سرعان ما استيقظت منه»[1]، هنا الراوي كأنه يقارن بين طريقة قراءته للكتب في الماضي وفي الحاضر، كما أنه يصف لنا كيف تصفح الكتب التي أمامه والشيء الذي شدّه لقراءة الكتاب الملفوف بقماشة مهترئة والذي كان مكتوب بلغة المورسكيين، كما أشار لتعلمه للغة الاسبانية.

كما نلتمس استرجاعا تكراريا في قول "علي بدية" «لم يمض أكثر من أربعة شهور حتى عثرت محاكم التفتيش على مسجد الشيخ عمر وبداخله ثمانية من المورسكيين وهم يصلون وكان تنفيذ الحكم في الحال؛ إذ أحرق كل من في المسجد وهم يصلون وكانت نهاية فاجعة لم يتبقى منهم سواي»[2]، يروي هنا "علي بدية" لنا حادثة مقتل الشيخ عمر والذي كان قد تحدث عنها من قبل في قوله «منذ شهر تقريبا قامت محكمة التفتيش بالتوصل إلى مكان آخر مسجد للمورسكيين في غرناطة...بل قاموا بقتلهم وأحرقوا كل من كان في المسجد وهم ساجدون»[3] ، وفي قوله أيضا «فجميع وثائق المورسكيين وكتاباتهم موجودة في بيت الشيخ عمر آخر شيخ للمورسكيين في غرناطة ، وقد قُتل في المسجد الذي تم إحراقه مع باقي المورسكيين»[4]، وقد كرر هذا الحدث مرارا لأنه ترك في نفسيته جرحا عميقا، لعمق علاقته مع الشيخ عمر.

[1] الرواية، ص 11،12

[2] الرواية، ص86

[3] الرواية، ص20

[4] الرواية، ص21

ج. الإسترجاع المختلط:

أو كما يسمى أيضا بالإسترجاع المزجي «وهو ما يجمع بين النوعين»[1]، أي أنه يجمع بين الإسترجاع الداخلي والإسترجاع الخارجي، وينتج هذا الإسترجاع «بسبب التناوب شبه المستمر، بين تقنيتي: الإسترجاع الخارجي والإسترجاع الداخلي»2، بحيث نجده في رواية الأندلسي الأخير شبه منعدم.

2. الإستباق:

هو تقديم حدث أو أكثر عند السرد عن أحداث سابقة لها في المسار الزمني، أي يقفز الراوي بالأحداث إلى الأمام متخطيا اللحظة التي وصل إليها لاستقدام أحداث مازالت في حكم المجهول، أما "حسن بحراوي" فيعرفه بأنه هو «القفز على فترة ما من زمن القصة وتجاوز النقطة التي وصل إليها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث، والتطلع إلى ما سيحدث من مستجدات»[3].

أي الإستشراف هو تجاوز الزمن الحالي في الرواية وتنبؤ خاص بأحداث لاحقة ربما تحدث حقيقة مستقبلا أو تبقى فقط مجرد تخمين لا يتحقق في أثناء السرد.

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص58

[2] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص 115

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط19901.، ص132

أما "جيرالد برنس" فهو يرى أن الإستشراف هو «التقنية أو الأداة الفنية التي يشار من خلالها لأحد المواقف أو الأحداث مقدما»[1]، فهذه التقنية تلعب دورا مهما في الحفاظ على ترابط وتناسق السرد، وحتى وإن كانت الأحداث متباعدة ومنفصلة، بحيث الإستشراف يتخطى لحظة السرد الآنية ويتقدم إلى الأمام، ليسرد أحداث من الزمن المستقبلي.

ومن هذا نستنتج أن تقنية الإستباق عبارة عن «مفارقة زمنية سردية تتجه إلى الأمام، بعكس الإسترجاع، والإستباق هو تصور مستقبلي لحدث سردي سيأتي مفصلا فيما بعد إذ يقوم الراوي بإستباق الحدث الرئيسي، في السرد بأحداث أولية تمهد للآتي وتومئ للقارئ، بالتنبؤ واستشراف ما يمكن حدوثه أو يشير الراوي بإشارة زمنية، أولية تعلن صراحة عن حدوث ما سوف يقع في السرد»[2].

1.2. أنواع الإستباق:

ينقسم الإستباق إلى نوعين هما الإستباق كتمهيد والإستباق كإعلان:

[1] جيرالد برنس، قاموس السردية، تر السيد إمام، بيروت للنشر والتوزيع القاهرة مصر، ط1, 2002ص119

[2] موريس أبو ناظر الألسنة والنقد الأدبي، دار النهار للنشر بيروت، 1989، ص96

أ. الإستباق كتمهيد:

تقول "مها حسن القصراوي" عن هذا النوع من الإستباقات في هذا شأن «إن الإستباق التمهيدي هو توطئة لأحداث لاحقة، تتطلع للأمام حيث يقوم السارد أو إحدى الشخصيات بتوقع أو احتمال ما سيحدث لاحقا، كما يرتدي هذا النوع حلة الحلم الكاشف للغيب»[1] أي أن الإستباق كتمهيد يعني توقع أو تنبؤ وقوع بعض الأحداث المستقبلية التي ستحدث لاحقا، فالإستشراف التمهيدي هو مجرد تطلعات مستقبلية تقوم بها شخصية داخل الحكاية، إذا هو يكون «في حالات كثيرة مجرد استباق زمني، الغرض منه التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي، وهذه هي الوظيفة الأساسية للإستشرافات بأنواعها المختلفة»[2]

لقد تم استعمال العديد من الإستشرافات التمهيدية في رواية "الأندلسي الأخير"، ومن بين الأمثلة التي وجدناه في الرواية ما قاله الراوي "علي بدية" «الأن لم أعد أدري هل يوجد موريسكيون غيري أم أني آخرهم»[3] نلاحظ أن الراوي "علي بدية" في هذا المثال توقع أنه ربما يكون آخر موريسكي في الأندلس وأن الآخرين ربما ماتوا أو تنصّروا وليحافظوا على أنفسهم من القتل والحرق من طرف محكمة التفتيش التي تقوم بحرق كل مسلم مازال محافظ على دينه، ولم يدخل في دين النصارى. وسيصدق ما

[1] مها حسن قصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص211

[2] جيرار جنيت، خطاب الحكاية نقلا عن سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير) المركز الثقافي العربي، دار البيضاء بيروت، ط3،1997 ، ص77

[3] الرواية، ص21

تنبأ به "علي بدية" لاحقا في المستقبل، ويكون هو آخر مسلم في الأندلس. بعد ما قامت محاكم التفتيش بحرق كل من هو مشكلوك في الإسلام والدليل عن هذا كلام نجده في كلام "علي بدية" لما قال «ولكن بعد اليوم لم يعد هناك شيوخ للموريسكيون بل لم يعد هناك موريسكيون ...الآن لم يبقى أحد سواي»[1].

وأيضا ورد مثال آخر على لسان طفل صغير في حديثه لشخصية في الرواية تسمى "أبا الحسن" حيث قال «أنا لا أبكي على أبي، لكني أبكي لأنه قال لي وهو خارج للقتال، إذ هزمنا يا بني لن تسمع الأذان في غرناطة بعد اليوم، وسيعلو الصليب على المآذن»[2]، وفي هذا المثال توقع والد الطفل الصغير أنه في حال سقوط الأندلس وفشلهم في القتال سيقضي المسيحيين على المساجد ويقومون بتحوليها لكنائس وسيختفي الإسلام منها نهائيا، وهناك أيضا العديد من التوقعات "لأبا الحسن" يتوقع فيها سقوط الأندلس وانتهاء الحكم الإسلامي فيه ومن قول "أبا الحسن" في هذا السياق نجد هذا المقطع السردي: «كانت شمس الظهيرة قوية هذا اليوم، دائما كانت شمس غرناطة قوية لكن الآن يبدوا أن شمس الإسلام بدأت في الأفول، أخذت أنظر إلى الشمس وأنا أتأمل شعاعها، كنت أريد أن أحتفظ بأكبر كم منها بداخلي، ربما لا أراها بعد اليوم»[3]، وفي هذا المثال نلاحظ أن الراوي يودع شمس غرناطة وكل ذكريات حياته في هذا البلد الذي عرف حضارة إسلامية عريقة من أعظم الحضارات التي

[1] الرواية، ص22
[2] الرواية، ص41
[3] الرواية، ص45

عرفتها البشرية فهو يتوقع أن الأندلس تسقط ولن يستطيع أبناءها الحفاظ عليها وبسقوطها سينتهي وجود الإسلام فيها. وقد صدق في توقعه وهذا ما حدث بالضبط في الأندلس، وهذا ما جاء في قول الراوي «عند ربوة مرتفعة وقف أبو عبد الله ليشاهد الشمس وهي تشرق على غرناطة لكن هذه المرة لم تكن تحت حكم المسلمين، لقد ذهبت عنها»[1].

وهكذا نلاحظ أن الإستباق الذي قدّمه كان صحيحا، وسقطت الأندلس بعد 700سنة من الحكم الإسلامي، بسبب تخاذل أبناءها وعدم تلقي المساعدة من الدول الإسلامية الأخرى كالدولة العثمانية، التي فضلت القيام بفتح دول أوروبية أخرى بدلا من الحفاظ على الأندلس، أما مصر فتحججت بتفرغها لحل مشاكلها الداخلية.

أما من أمثلة الإستباقات التمهيدية الأخرى فنجدها في قول "علي بدية" «كنت أحلم أن أسير في صحراء جرداء قاحلة، ومع ذلك كنت أشعر بسعادة غامرة وأنّي أسير فيها حتى وصلت إلى بناء وسط الصحراء، أمامه وقف رجل يرتدي ثياب بيضاء والنور يشع من وجهه كأنه ملاك ويقول لي: مرحبا بك في بيت الله الحرام»[2].

حيث نلاحظ أن هذا المثال قد اختلف كثيرا عن باقي الأمثلة الأخرى، وذلك بسبب أنه جاء في شكل حلم، وهذا الإستشراف يمهد لحدث سيقع في المستقبل، وهو مغادرة علي بدية الأندلس وذهابه لتأدية مناسك الحج في مكة، وقد تحقق حلمه وغادر

[1] الرواية، ص50

[2] الرواية، ص91

الأندلس وهو يحمل معه ذكريات وتاريخ الأندلس العريق، وحسرة كبيرة على تضييع هذا الفردوس الأرضي، فيقول "علي بدية "مرة أخرى: «ولا أذكر أني صليت في أمان واطمئنان منذ كنت في التاسعة من عمري في مسجد ما ، أما الآن فسأذهب إلى بيت الله وسأصلي هناك في أمان وسكينة»[1].

لقد تحقق حلم علي بدية أخيرا، واستطاع مغادرة الأندلس، متجها إلى مكة المكرمة، والملاحظ أن هذا النوع من الإستباقات التمهيدية كانت تمهد لبناء الأحداث وفي نفس الوقت كوّنت نوع من التفكير والتنبؤ لدى القارئ، ومن هنا نجد أن الغاية والغرض الأساسي من هذه الإستشرافات هي جعل القارئ مرتبطا بالأحداث أثناء السرد من خلال التأويلات والافتراضات التي تدور داخله، كما كان الراوي من خلال الاعتماد عليها في السرد يمهد لوقوع الحدث قبل أوانه.

ب. الإستباق كإعلان:

هو عبارة عن إعلان عن أحداث ستقع لاحقا حتما، حيث جاء عند "حسن بحراوي" أن الإستباق كإعلان يعني أن الراوي «يعلن بصراحة عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لا حقا»[2].

[1] الرواية، ص113

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ص137

وهذا النوع من الإستباق مؤكد حدوثه مستقبلا، إذ يقوم الراوي باستحضار مجموعة من الأحداث يتوقع حدوثها لاحقا، فالفرق بينه وبين الإستباق التمهيدي يتمثل في كون أن التمهيدي هو عبارة عن إشارة أو إيحاء لا معنى له في البداية ويمكن أن يتحقق لاحقا، أما الإستباق كإعلان فهو يعلن صراحة عن أحداث ستقع مستقبلا.

وبالعودة إلى رواية "الأندلسي الأخير" لأحمد أمين نجد أنه قد استعمل الكثير من الإستباقات كإعلان، ومثال ذلك ما نجدهُ في قول الراوي: «أخذت الخواطر والأفكار تتقاذفني حتى سافرت في ذهني فكرة عجيبة ما دامت هذه الأوراق التي وصلت إلى يدي فلا بد أن هناك سبب لذلك، يجب أن أترجم هذه المخطوطات بسرعة»[1] في هذه العبارة يعلن السارد صراحة عن قيامه في المستقبل بترجمة المخطوطات القديمة التي وجدها. والتي تعود إلى الموريسكيون وهم مسلمي الأندلس قبل أن تسقط وينصّر أو يقتل ويهجر معظم السكان الأصليين لتلك البلاد. وتلك المخطوطات كانت مكتوبة بلغة الخيميادو وهي لغة إسبانية مكتوبة بحروف عربية لذلك وجب عليه أن يترجمها إلى اللغة العربية.

ونلاحظ أنه قد تمت ترجمة المخطوطات في مستقبل الحكي. وهذا ما يؤكده الراوي لاحقا حين قال «استغرق الأمر مني ثلاثة أشهر كاملة كانت في غاية المتعة،

[1] الرواية، ص16

وأنا أترجم تلك مخطوطات»[1] أخبرنا الراوي أنه استغرق مدة ثلاثة أشهر وهو يقوم بترجمة المخطوطات القديمة التي وجدها. حيث كان في غاية السعادة وهو يقوم بترجمتها.

ونجد كذلك مثال آخر عن الإستباقات الإعلانية في رواية "الأندلسي الأخير"، حيث قال "موسى الغساني" وهو أحد الشخصيات المناضلة في الرواية والتي لم ترضخ للعدو ورفضت الإستسلام فيقول «من لم يقاتل اليوم.. فلن يقاتل أبدا يا أبا الحسن»[2]، يرى "أبا الحسن" أنه من لم يقاتل في هذه معركة الآن لن يستطيع القتال مرة أخرى. وقد صحّ استشراف "أبا الحسن" وهذا ما حدث بالضبط في مستقبل الحكي، وأكد هذا أبا الحسن «حينها تذكرت مقولة موسى أبي الغسان من لم يقاتل اليوم لن يقاتل أبدا»[3].

وأيضا نجد استشرافا أخرا "لموسى أبا الغسان" ذلك أخر كلماته قبل خروجه للقتال واستشهاده في المعركة حيث يقول «لا تخدعوا أنفسكم ولا تظنوا أن النصارى سيوفون بعهدهم»[4]، حيث يعتقد موسى أن النصارى لن يوفوا بعهودهم كعادتهم ، ولن يحافظوا أبدا على أعراض ومعتقدات المسلمين كما وعدوهم أن يسلموا لهم الأندلس، وقد صدق هذا الإستشراف فالنصارى نقضوا عهدهم، واستباحوا أرواح وأموال وأعراض المسلمين وعذبوهم بأبشع الطرق الممكنة وهذا ما قاله موسى «إن الموت أقل ما

[1] الرواية، ص13

[2] الرواية، ص28

[3] الرواية، ص40

[4] الرواية، ص47

نخشى، أمامنا نهب مدننا وتدميرها وتدنيس مساجدنا، وتخريب بيوتنا وهتك أعراض نسائنا وبناتنا وأمامنا الجور الفاحش والتعصب الوحشي والسياط والأغلال، وأمامنا السجون والمحارق، هذا ما سوف يلقانا من مصائب وعسف، وهذا ما سوف تراه على الأقل تلك النفوس الوضيعة التي تخشى الآن الموت الشريف، أما أنا فوالله لن أراه»[1]، في هذا الإستباق قام الراوي موسى أبا الغسان بإخبارنا ما سيحدث في المستقبل إن لم يقاتل الموريسكيون النصارى خوفا من الموت لأنه يرى أن الموت أشرف وأفضل مما سيحدث إن رفضوا القتال. فالنصارى سيستحبون دماء وأعراض المسلمين، وسيذبحون كل من اعترض منهم عن إتباعهم. فالموت أقل ما سيعاني منه المسلمين ويقول إنه هو والله لن يعيش أبدا هذا الذل، وسيقاتل حتى أخر قطرة من دمه، وهذا ما حدث فهو استشهد في معركة الشرف.

وأيضا من الأمثلة الأخرى للإستباق كإعلان نجد مثال آخر من أبا الحسن في قوله «نعم يا ابن الغسان لن ترى ذلا ولا هوانا بعد اليوم، أما نحن فيبدو أننا لن نرى إلا ذلا وهوانا بعد اليوم بعدك يا فارس الأندلس»[2].

حيث تنبأ في هذا المثال أبا الحسن بأن موسى ابن الغسان أن لن يرى الذل بعد الآن وسيستشهد في المعركة كبطل وفارس دافع عن وطنه بكل قوته، ولن يستسلم أبدا. أما من تأخروا على القتال هم الذين سيرون الذل والهوان، وأبشع طرق التعذيب،

[1] الرواية، ص29

[2] الرواية، ص29

والاستلاء على أموالهم وسفك دمائهم، وانتهاك أعراضهم بسبب أنهم تخاذلوا عن الدفاع عن أرضهم ودينيهم ولم يقاتلوا مع موسى في بداية الأمر وقد صدق هذا التوقع كما تنبأ به الراوي هو بالضبط فموسى استشهد ولم يرى ذلا قط.

وهناك مثال أخر عن الإستباق في الرواية هذه المرّة على لسان عجوز تحدثت عن أحداث ستقع في المستقبل حيث قالت «وموتوا كراما قبل أن تتمنوا الموت فلا تجدوه»[1]، فلقد صدقت العجوز ووقع ما كانت تخشاه. ويؤكد هذا أبا الحسن أيضا بقوله: «لم أدرك كم هو مريح الموت إلا في تلك اللحظة، إنها لحظة الضياع، صدقت والله العجوز سنتمنى الموت فلا نجده»[2].

حيث توقعت العجوز أنه إن لم يقاتل الأندلسيون ويقاوموا بكل قوتهم النصارى، ويحاولوا استرجاع الأندلس قبل سقوطها، سيرون أفظع وأسوء من الموت، سيقتلون ويشردون وتهدم مساجدهم وكتبهم التي تشهد على تاريخهم وحضاراتهم. كما سيسعى النصارى إلى محو كل شيء مرتبط بالمسلمين وتاريخهم، هناك سيتمنى الأندلسيون الموت الذي كانوا يخشونه، فالموت أشرف وأرحم مما سيلقونه من تعصب ووحشية من طرف النصارى، الذين يحقدون كثيرا على السكان الأصليين وتاريخهم وثقافتهم العريقة. وقد صدق استشرافها وتوقعها.

[1] الرواية، ص45

[2] الرومانية، ص،45

ونورد مثالا آخرا نجده عن الإستباق الاعلاني في قول أبا الحسن، «لكن فيما يبدو أن القتال قد مضى ولم يعد يجدي الآن»[1]، فأبا الحسن يعلن أن القتال قد فات أوانه، ولن يستفيد شيئا. فقد خسر العرب الأندلس وإلى الأبد وصدق أبا الحسن، فالقتال أصبح لا يجدي أبدا، وهذا جاء في قوله «عند ربوة مرتفعة وقف أبو عبد الله ليشاهد الشمس وهي تشرق على غرناطة، لكن هذه المرة لم تكن تحت حكم المسلمين لقد ذهبت عنها شمس الإسلام وإلى الأبد»[2]، فحدث ما كان يخشاه، الأندلسيون فقد سقطت الأندلس وانتهكت أموال وأعراض مسلمين. كانت هذه النماذج تمثل أهم ما جاء في الحكاية من استباقات إعلانية، وما نلاحظه عن كل الاستباقات بأنواعها أنها كانت تؤدي أدوارا ووظائف كثيرة ومتنوعة في السرد.

2.2. وظائف الإستباق:

للإستباقات عدة وظائف تقوم بأدائها أثناء السرد وذلك «بوصفه أحدث التقنيات القصصية. ذات التأثير المباشر على حركة الإيقاع الزمني في القصة فهي تتلخص في إعداد القارئ وتهيئته لتقبل ما يجري من أحداث ذلك أن المقاطع الاستباقية تعد بمثابة تمهيد أو توطئة للأحداث اللاحقة. يجري الإعداد لسردها من طرف الراوي فتكون غايتها في هذه الحالة هي حمل القارئ على توقع حدث ما أو التكهن بمستقبل

[1] الرواية، ص48

[2] الرواية، ص50

إحدى الشخصيات كما قد تأتي على شكل إعلان لما ستؤول إليه مصائر الشخصيات مثل الإشارة إلى احتمال موت أو مرض أو زواج بعض الشخوص»[1]

وعليه فالإستباق يعتبر تقنية جد مهمة في عملية السرد، فهو يزيد في الرواية عنصر التشويق والترقب لما سيحدث من أحداث آتية في المستقبل.

[1] نقله أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، دار غيداء للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2001، ص60

الفصل الثاني:

المدة وإيقاع الزمن في رواية

"الأندلسي الأخير" لأحمد

أمين

1-تسريع السرد:

وهو أول حركة من حركات دراسة المدة الزمنية يقوم بها الراوي عندما يريد الانتقال من فترة زمنية إلى أخرى ويستخدم في تسريع الحكي، عامة تقنتين زمنتين هما: الحذف والخلاصة.

1.1. الحذف:

يلعب الحذف دورا مهما في عملية تسريع السرد و اختصاره، وقد عرفه" سعيد يقطين" «بأنه حذف فترات زمنية طويلة، لكن التكرار المتشابه يلغي هذا الإحساس بالحذف، وإن بدا لنا مباشرة من خلال الحكي ترتيب بهذا الشكل الذي يظهر فيه الحذف»[1].

ويستعمل هذا النوع من التقنيات السردية عندما يحتاج الراوي إلى حذف فترات زمنية معينة من الرواية، وينتقل مباشرة إلى سرد أحداث زمنية أخرى دون سابق تعليل لهذا الإنتقال أما "جان ريكاردو" فقد عرف الحذف بأنه «نوع من قفز على فترات زمنية والسكوت على وقائعها من القص يلحق القصة والسير معا في حالة التنقل من فصل إلى فصل حيث تحدث فجوة في القصة»[2].

[1] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص120

[2] جان ريكاردو، قضايا الرواية الحديثة، تر صباح الجهيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق، ط1, 1997 ,ص216

بحيث يقوم الراوي في الحذف بالإنتقال بالأحداث إلى الأمام فيسكت عن بعض الأحداث من القصة في السرد. ويشير إليها فقط من خلال فراغ أو نقاط مثال ذلك مضت ثلاثة سنوات، أو مرت عدة شهور.... إلخ ولقد أطلق العديد من التسميات على تقنية الحذف. ومن أشهر هذه التسميات القفز، القطع، الشفرة والإضمار.

إذا الحذف هو تقنية من تقنيات السرد «تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث»[1].

ولقد قسم "جيرار جنيت" الحذف إلى ثلاثة أقسام تتمثل في الحذوف الصريحة والحذوف الضمنية والحذوف الإفتراضية.

أ. الحذف الصريح:

في هذا النوع من الحذوف يقوم الراوي بالإعلان صراحة عن وجود الحذف من خلال الإشارات، والمقصود بالحذف الصريح هو «الإعلان عن الفترة الزمنية وتحديدها بصورة صريحة وواضحة حيث يمكن للقارىء أن يحدد ما حذفا زمنيا من السياق السردي»[2]

ويرى "جيرار جنيت "أن الحذف الصريح يدل عليه السارد «بإشارة محددة أو غير محددة إلى ردح من الزمن الذي يحذفه وإما من حذف مطلق مع إشارة إلى الزمن المنقضي عند استئناف الحكاية»[3]، وهذا النوع بدوره ينقسم إلى نوعين :

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص156

[2] مها حسن قصراوي، الزمن في الرواية العربية ص231

[3] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص231

1. ***حذف محدد***: ويتم في هذا النوع من الحذوف التصريح بطريقة مباشرة عن المدة المحذوفة.

2. ***حذف غير محدد***: أما في هذا النوع لا يتم الإعلان عن المدة المحذوفة صراحة، لذلك يجد القارئ في هذه الحالة صعوبة في الكشف عن الحذف هنا. والحذف المحدد هو «ما تمت الإشارة إليه في النص، لكن من غير أن يحدد الفترة الزمنية على نحو بارز ودقيق».[1]

ومن أمثلة الحذوف المكشوفة مدتها بشكل دقيق ويمكن للقارئ التعرف عليها. نجد قول الراوي «طوال أربع ساعات من التحقيق معي بواسطة محققي المحكمة لم يكتشفوا أي شيء مريب غير أني مسيحي ملتزم، وأحافظ على واجبات الكنيسة ولم أكن أعلم شيئا مما تصنعه عائلتي»[2]، حيث قام الراوي في هذا المقطع بحذف أحداث من الحكاية مدتها أربعة سنوات كاملة، وبعد ذلك بين ما حصل خلال تلك الفترة من أحداث دون أن يفصل فيها بل لخصها في أهم ما حدث معه من الوقائع، التي كان القارئ يجهل ما جرى فيها وأيضا نجد من الحذوف ما قاله "علي بدية" مرة أخرى: «مضى على وجودي هنا في الكنيسة عام كامل. كنت تحت مراقبة شديدة من محكمة التفتيش»[3]، لقد أخبرنا الراوي "علي بدية "على ما مر به من المراقبة الشديدة من قبل محاكم التفتيش بسبب انتمائه للموريسكيين. فكل من شككوا في إسلامه يقومون

[1] عالية محمود صالح، البناء السردي في روايات إلياس الخوري، أزمنة للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط1 ،2005ص41

[2] الرواية، ص66

[3] الرواية ص 71

بتصدير ممتلكاته وحرقها في محرقة أمام الشعب بأبشع الطرق الهمجية، وفي هذا المثال نجده أنه تم الإشارة والإعلان عن المدة التي حذف فيها السارد، والمقدرة بعام كامل، حيث لخص أهم ما حدث معه خلال هذه المدة التي يجهلها المتلقي بدوره أيضا.

أما عن الحذوف غير المحددة فقد جاءت في الرواية بكثرة ومن بين هذه الحذوف نجد ما جاء في قول الراوي علي بدية وهو يصف المحارق التي تعرض لها الموريسكيون من قبل محاكم التفتيش فيقول «فطوال تلك السنوات كنت أراه كل يوم في منامي وأرى النيران وهي تلتهم أجسادهم»[1]وفي هذا المقطع وصف لنا الراوي ما كان يراه من كوابيس في منامه، فقد كان يرى عائلته وأصدقائه والنار تلتهم أجسادهم. وعليه تركت تلك الأحداث جرحا لا يشفى عند" علي بدية". كما قام الراوي في هذا المثال بالانتقال إلى فترة زمنية أخرى دون تحديد وضبط مدة السنوات التي حدثت فيها هذه الأحداث.

ونجد أيضا مثالا أخر عن الحذوفات غير المحددة في الرواية وذلك في قول الراوي «كان ذلك اليوم الذي تغير كل شيء»[2]، وفي هذا المثال يخبرنا الراوي عن ذلك اليوم الذي كان مفصليا في حياته، وكان سببا في تغير مجراها لكن دون تحديد دقيق لتاريخ ذلك اليوم، وبل أبقى من اليوم مجهولا لدى المتلقي. ونجد مثالا آخر عن هذا

[1] الرواية ص67

[2] الرواية 67

النوع من الحذف في قول الراوي «أحنت السنين ظهره ويبدو عليه عناء الزمن لكن ومن نظرات عينيه تشعر أنه يمتلك روح قوية»[1]، وفي هذا المثال يصف لنا الراوي ما فعل الزمن بصديقه. فقد كبر في العمر وصار يمشي بصعوبة كبيرة، وتعب وإرهاق ظاهر على وجهه. لكن رغم ذلك تجد في عينيه قوة وصلابة كبيرة تثبت صموده ونضاله رغم كل ما حدث معه ومع شعبه خلال تلك السنوات الطويلة، لكن الراوي لم يحدد بصورة مباشرة عدد السنوات التي حذفها بل تركها مجهولة عند المتلقي واكتفى بذكر بعض تفاصيل ما جرى فيها من أحداث.

ب. الحذف الضمني:

يعد الحذف الضمني نوعا آخرا من أنواع الحذوف، وهذا النوع لا يعلن عنه صراحة أو بطريقة مباشرة، لكن يكشفه للقارئ من خلال تنبهه بوجود ثغرات في القصة، و«يعتبر هذا النوع من صميم التقاليد السردية المعمول بها في الكتابة الروائية حيث لا يظهر، هذا الحذف في النص بالرغم من حدوثه، ولا تنوب عنه أي إشارة زمنية أو مضمونية وإنما يكون على القارئ أن يهتدي إلى معرفة موضعه بافتقاد أثر الثغرات والإنقطاعات الحاصلة في التسلسل الزمني الذي ينظم القصة»[2]، وفي هذا النوع من الحذف يجد القارئ الإشارات التي من خلالها يمكن معرفة وجود الحذف، إلا أنه يمكن أن يتفطن له من خلال ملاحظة وجود ثغرات في الزمن.

[1] الرواية ص71

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص162

لقد استعمل الراوي أثناء السرد بعض الحذوف الضمنية ومن بينها نجد ما قاله "علي بدية" وهو يحكي لنا عن ما حدث معه في طفولته هو وعائلته التي أحرقت من طرف محاكم التفتيش. بعد اكتشافهم أن عائلة بدية لم تدخل إلى النصرانية، بل بقت متمسكة بدينها الإسلام، ويقول الراوي «نظر القاضي وهو يقول لوالدي...والطفل الصغير هل هو نصراني أم مسلم. في تلك الوقت كنت أبلغ تسعة أعوام»[1]، و في هذا المقطع نلاحظ أن علي بدية انتقل من زمن السرد، من ستة أعوام إلى تسعة أعوام دون ذكر ما حدث معه خلال الثلاث سنوات الماضية. ومن خلال هذا نستنتج أن الراوي "علي بدية" حذف مدة ثلاثة سنوات كاملة. مما ساهم في تسريع السرد وانتقل من زمن إلى زمن آخر بسرعة كبيرة.

ومن الأمثلة الأخرى للحذوفات الضمنية المستعملة في الرواية. نجد ما قاله الراوي "علي بدية": «لا أدري كم مر علي من الوقت لكني فجأة استيقظت لأجد نفسي في حجرتي في الكنيسة، وبجانبي أحد الرهبان الذي أخبرني أنه حدث تدافع بين الناس مما أدى إلى سقوطي وغيابي عن الوعي»[2]، في هذا المقطع نجد أن هناك ثغرة زمنية في السرد، حيث كان فيها "علي بدية" يشاهد عائلته وهي تحرق من طرف محاكم التفتيش، إلا أنه وجد نفسه في حجرته بالكنيسة بعدما أغمي عليه ولم يذكر مدة إغمائه ولا كيف انتقل إلى حجرته في الكنيسة. وهذا ساهم كثيرا في تسريع الأحداث.

[1] الرواية ص 53
[2] الرواية، ص83

وتكرار الحذف الضمني أيضا في قول "علي بدية" وهو يسرد لنا خروجه من الأندلس إلى مكة المكرمة «لا أدري كم من الوقت مر عليَّ وأنا على هذه الحالة لكن فجأة.. وجدت نفسي أمام الكعبة ورأيت عائلتي هناك تقف بجوارها .... وسمعت صوت يقول الحمد لله على سلامتك»[1]، حيث ذكر "علي بدية" في هذا المقطع السردي ما عايشه من خلال رحلته إلى مكة المكرمة. حيث نلاحظ أن "علي بدية" وجد نفسه في بيت الله الحرام فجأة، دون معرفته كم استغرق من الوقت، وهذا دليل على وجود حذف ضمني في السرد.

ولقد ساهمت تقنية الحذف الضمني في تسريع الأحداث عن طريق الإنتقال من حدث إلى آخر بسرعة كبيرة دون أن يحدث خللا في الرواية. وتجدر الإشارة أننا، قد وجدنا صعوبة كبيرة في استخراج هذه الأمثلة لأن الحذوف الضمنية، صعبة نوعا ما وتحتاج تركيزا كبيرا لمعرفتها من خلال الثغرات الموجودة في السرد.

[1] الرواية، ص92

2.1. الخلاصة:

الخلاصة "sommaire" هي ثاني تقنية من تقنيات التسريع في السرد وهي عبارة عن تقنية زمنية نجدها عندما «تكون وحدة من زمن القصة تقابل وحدة أصغر من زمن الكتابة تلخص لنا فيها الرواية مرحلة طويلة من الحياة المعروفة»[1]،حيث تحتل الخلاصة الأماكن الضيقة في السرد، لأنها تعمل على الإيجاز وتلخيص الأحداث مع المرور عليها سريعا، ويعتقد "جنيت" أن تقنية "الخلاصة" أو كما يطلق عليها أيضا "المجمل" تساهم في تسريع عملية السرد وذلك من خلال استرجاع الأحداث الماضية بطريقة سريعة، والانتقال أيضا بين الماضي والحاضر دون ذكر كل تفاصيل الأحداث اللاحقة أو السابقة .

ومن أمثلة الخلاصة التي تم استخدامها في رواية "الأندلسي الأخير"، ما جاء على لسان السارد «منذ سنوات عديدة تعرفت على فرحات وتوطدت بيننا علاقة صداقة حميمية كانت الكتب هي المتنفس الوحيد لي في هذا العالم فكل شيء أحببته أصابني منه الملل ماعدا الكتب »[2]، عبر هذه اللحظات الخاطفة لخص لنا الراوي عدة سنوات. وما حدث معه فيها من تعرفه على صديق جديد اسمه فرحات، والذي ربطت بينهم صداقة وعلاقة جيدة جدا، وهذا الصديق كان يأتيه بالكتب الجديدة التي يتم إصدارها

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص145
[2] الرواية ص73

حديثا، فالسارد يقول أنه يعشق الكتب وهي شغفه الوحيد في هذه الحياة الذي لم يصبه منه الملل. فلخص السارد لنا أحداثا طويلة في بضعة أسطر من خلال اعتماده على تقنية الخلاصة. التي تعمل على تسريع السرد وعدم الوقوف على الأحداث غير المهمة والثانوية والتي لا نحتاجها في الرواية.

ومن الأمثلة الأخرى للخلاصة التي استخدمت كذلك نجد في الرواية ما قاله "أبا الحسن" «طوال خمسة أعوام اعتدت أن ألتقي طروب. كل يوم في هذا المكان»[1]، قام "أبا الحسن " في هذا المقطع بتلخيص ما حدث معه طيلة خمسة أعوام. فهو خلال هذه المدة كان يلتقي كل يوم مع حبيبته "طروب "وقد لخص هذه الأحداث في جملة واحدة. وسرع السرد دون ذكر التفاصيل الغير مهمة. وقد قام بتحديد دقيق للمدة التي غطاها التلخيص. فقد سمحت هذه التقنية للسارد بتلخيص الأحداث الثانوية، والتركيز على الأحداث الأساسية والمفصلية أكثر في الرواية.

ونجد أيضا خلاصة أخرى قالها السارد وهو يتحدث عن صديقه «هكذا فعلت بي كتب فرحات، دائما كان يأتني بكتب نادرة توقف طبعها منذ عشرات السنين، أو يأتيني بكتب منعتها رقابة السلطة، ولاحقها رجال المصادرة»[2]، لقد أخبرنا السارد في هذا المقطع عن صديقه فرحات الذي كان دائما يأتيه بالكتب النادرة التي منع طبعها

[1] الرواية ص9
[2] الرواية ص71

أو توقف طبعها منذ عشرات السنين وهنا قام السارد بتلخيص أحداث وقعت في السنوات الماضية، كان يجهلها المتلقي ولا يعرف ماذا جرى فيها من أحداث.

ونجد أيضا مثالا آخرا عن تقنية الخلاصة في الرواية عندما يقوم السارد بتلخيص أحداث الماضي التي حدثت مع شخصيات وأبطال الرواية وكنا نجهلها كقارئين للرواية. لقد وردت الخلاصة على لسان السارد "عمر" أحد شخصيات الرواية، حيث قال: «كاميليو تميم هنا منذ عشرة أعوام انتقل من فالينسيا إلى هنا وهو مسلم مثل آبائه وهو أيضا آخر عائلته مثلك تماما» [1]، في هذا المقاطع لخص لنا عمر بعض ما حدث مع كاميليو خلال عشرة سنوات، وادعائه اعتناق النصرانية وأصبح يعمل قسا في الكنيسة. إلا أنه في الحقيقة كان مازال مسلما مثل عائلته. ولقد لخص السارد الكثير من الأحداث في بعض الجمل، وأسرع في السرد من خلال استعمال تقنية الخلاصة انتقل مباشرة إلى أحداث أخرى أكثر أهمية.

ونجد أيضا عبارة أخرى قام فيها الراوي، بتلخيص ما حدث خلال شهر كامل وهذا المقطع جاء في قول "علي بدية" «منذ شهر تقريبا قامت محكمة التفتيش بالتوصل إلى مكان آخر مسجد للموريسكيون في غرناطة كان الأمر بالنسبة إلى محكمة التفتيش صدمة رهيبة وفشلا مدويا»[2]، لقد تحدث "علي بدية" عن اكتشاف محكمة التفتيش مسجد للموريسكيون يتعبدون فيه، وهذا سبب الصدمة لمحكمة

[1] الرواية ص 53
[2] الرواية، ص29

التفتيش، لأنهم كانوا يظنون أنهم قضوا على جميع المسلمين نهائيا لكن هذا المسجد كشف لهم العكس. حيث استطاع الراوي أن يوجز لنا ما حدث خلال ذلك الشهر من أحداث. دون ذكر كل التفاصيل بل ذكر أهمها فقط.

من خلال هذه الأمثلة نلاحظ أن الراوي قد اعتمد كثيرا على تقنية الخلاصة، التي ساعدته في تسريع السرد، واختصار الأحداث الماضية التي حدثت مع شخصيات الرواية، وانتقال للحاضر بسرعة أكبر، وهناك أيضا مثالا أخرا للخلاصة استعمله الراوي في الرواية حيث يقول «طوال سنوات اعتدت أن آتي كل يوم إلى السوق حتى لو لم يكن لحاجة أقضيها فيه »[1]، حيث أخبرنا "علي بدية " أنه طوال عدة سنوات كان يأتي يوميا إلى السوق، كان فقط يتجول فيه لعله يجد أحد يعرفه، لكنه لم يحدد مدة تلك السنوات ولا مكان السوق أو اسمه. ومن خلال جميع الأمثلة التي سقناها نستنتج خلاصة صغيرة، مفادها أن تقنية الخلاصة والحذف قد لعبت دورا مهما جدا في تسريع عملية السرد من خلال تلخيص الأحداث وتقديمها بطريقة موجزة ومختصرة. كما أن الحذف بكل أنواعه هو من أبرز التقنيات التي يمكن استعمالها في تسريع وتيرة الزمن. وفي تجاوز الأحداث غير المهمة والتركيز على نقل الأحداث المهمة في السرد.

[1] الرواية، ص33

2. تعطيل السرد:

تمهيد:

عند قراءتنا لرواية ما قد نجد أن الزمن السردي يصبح بطيئا نوعا ما أو متوقفا في بعض الأحيان نتيجة لتوقف السرد، «وذلك نتيجة استفادة الرواية من الفنون الأخرى كالرسم والتصوير والسينما، فإنها أصبحت تعتمد على المشاهد الثابتة الخاضعة للتأمل الذي يؤدي إلى تبطيء الزمن أو توقفه حيث يصبح زمنا ميتا. لكن توقفه لا يشكل استراحة للقارئ»[1]

فكما للسرد أشكال يسرع بها السرد (الخلاصة والحذف)، فله أشكال وتقنيات أخرى يبطئ أثناءها أو على الأقل يخفف من سرعته مما يسبغ على القصة بوتيرة بطيئة تظهر لنا بوضوح في المشاهد الحوارية أو في الوقفات الوصفية أو التأملية[2]، وتحدث عملية تطيل السرد بتقنيتين هما:

1.2. المشهد (الحوار):

ويقصد بالمشهد ذلك المقطع الحواري الذي يدور بين الشخصيات حيث *يتوقف* السرد، فتتكلم الشخصية بلسانها دون تدخل من السارد، ويسمى السرد في هذه الحالة

[1] حورية الظل، القضاء في الرواية العربية الجديدة، مكتبة الأدب المغربية، دار نينوى الدراسات والنشر والتوزيع، سورية دمشق، ص2011

[2] ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 165

بالسرد المشهدي[1]، والمشهد هو تقنية من تقنيات تعطيل السرد في الرواية وذلك بإعطاء الشخصيات الفرصة من أجل التحاور و التعرف على بعضها مما يؤدي الى تباطؤ السرد، وهذا ما أدى بدوره إلى «ارتفاع أهمية الحوار في بناء الشخصية والتعبير عن أفكارها وتحديد علاقتها بغيرها من الشخصيات » [2]، وكأن الشخصيات تقوم بعمل درامي في الرواية لأن المشهد يقوم «أساسا على الحوار المعبر عنه لغويا والموزع إلى ردود "**répliques**" متناوبة كما هو مألوف في النصوص الدرامية»[3]

والمشهد عبارة عن تقنية إبطاء فني، من شأنه الإسهام في الكشف عن الأبعاد الفيزيولوجية والاجتماعية والنفسية لشخصيات الرواية، والتي يعرضها الراوي عرضا مسرحيا مباشرا وتلقائيا[4]، والمقاطع الحوارية في السرد نوعان:

أ. حوار مع الغير:

وهو الحوار الذي يدور بين شخصيتين أو أكثر في الرواية ولقد تجسد في نص "الأندلسي الأخير" في عدة مواضع نذكر منها:

[1] ينظر: محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، ص 95

[2] سنر روحي الفيصل، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1986م، ص 346

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 166

[4] ينظر: آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص133

في قول الراوي على لسان فرحات «أجابني في دهشة: لقد كانت تلك الكتب في الخزانة لعدم حاجتهم إليها» [1]، حيث دار حوار بين الراوي وفرحات بسبب الكتب التي اشتراها الراوي من فرحات.

وفي قول الأب لابنه "علي بدية "«اللغة ليست مجرد كلمات وقواعد، بل هي أمرٌ أكثر حياة» [2] ، هي كلمات قالها له أبوه وهو صغير تذكرها وهو يترجم الكتاب من اللغة العربية إلى الخيميادو لأن وجوده بالعربية خطر عليه.

كما نجد استعمالا لتقنية المشهد في الحوار الذي دار بين أبا الحسن الغرناطي والشيخ موسى: «دار بيني وبينه حوار هامس أنهاه لي قائلا: أنا لن أسلم رايتي ولا أرضي للغزاة. كل ما قاله لي: من لم يقاتل اليوم ...فلن يقاتل أبدا يا أبا الحسن!... فصاح فيهم بصوت عالٍ قائلا: " ليعلم ملك النصارى أن العربي قد وُلد للجواد والرمح فإذا طمح إلى سيوفنا فليكسبها عالية. أما أنا فقير تحت أنقاض غرناطة، في المكان الذي أموت مدافعا عنه، خير لي من أفخم قصور نعموها بالخضوع لأعداء الدين صرخ موسى في وجوههم قائلا: لم تنضب كل مواردنا بعد فمازال لنا مورد هائل للقوة، كثيرا ما فعل المعجزات، ذلك هو بأسنا فلنعمل على إثارة الشعب ولنضع السلاح في

[1] الرواية، ص12

[2] الرواية، ص24

يده ولنقاتل العدو وحتى آخر نَسَمه، وإنه لخيرٌ لي أن أُحصى بين الذين ماتوا دفاعا عن غرناطة من أن أحصى بين الذين شهدوا تسليمها.... »[1]

كلها كلمات قالها الشيخ" موسى" قبل وفاته، وخلال حواراته مع" أبي الحسن "الغرناطي، "موسى" الذي عرف بشجاعته ومواجهته للنصارى بصمود وبراعة محاولا هو وفرسانه فك الحصار عن غرناطة وفك الكرب عنها، لكن ما حصل لغرناطة كان بمشيئة الله. كما نجد الحوار مع الغير كذلك في المشهد الذي دار بين علي بدية والعجوز: حيث يقول

«كانت المرأة تقول بصوت مملوء بالحزن والانكسار:

غرناطة يا مولد نفسي..

ثم قالت هل كنت تبكي يا بني!

لا أدري هل من بشر يقدر على سماع تلك الكلمات ولا يبكي، إنها كلمات قادرة على جلب الدمع من جلمود الصخر

قلت لها والدمع ينهمر من عيني: لقد سمعت كلامك فبكيت...

وضعت المرأة يدها على رأسها وتأوهت وهي تقول: إذا بكى رجال غرناطة فماذا بقي لنسائها؟!

[1] الرواية ص27.28.29

صمتت قليلا ثم أردفت قائلة: يا بني إن العروس إذا زفّت إلى زوجها خضبوا يدها بالحناء، أما الرجال إذا زفُّوا إلى الشهادة خضبوا أيديهم بالدماء. قاتلوا عن شرف غرناطة وموتوا كرماً قبل أن تتمنوا الموت فلا تجدوه»[1]، تبدوا من خلال هذا المقطع الحواري أهمية المشهد في مسرحة الأحداث وجعلها تتصف بالدرامية.

وحوار علي بدية مع الولد الصغير الذي كان يبكي وهو جالس على عتبة المسجد بسبب قول أبيه إذا هزمنا لن تسمع صوت الأذان مجددا:

«أنا لا أبكي على أبي، لكني أبكي لأنه قال لي وهو خارج للقتال: إذا هزمنا يا بني لن تسمع الأذان في غرناطة بعد اليوم، وسيعلو الصليب على المآذن.

استكمل الولد حديثه موجها السؤال لي قائلا:

«أحقا سيحدث ذلك يا عماه»[2]،ساهم هذا المقطع الحواري في جعل الأحداث تبدو بطيئة، بالإضافة إلى أنه تمَّ من خلاله الكشف عن بواطن الشخصيات ومشاعرها.

ومن المشاهد الموجودة بكثرة نجد في الرواية نجد حوار"علي بدية "مع صديقه خالد بن زيدون الذي لم يره من زمن طويل، لكنهم لم يتحدثوا كثيرا مثل السابق فالصمت كان حديثهم إلاَّ من كلمات قلائل: "قمت من مكاني متجها صوب الباب، فاستوقفني صوته قائلا:

[1] الرواية 30،31

[2] الرواية، ص 34

" قادة الجند وأعيان غرناطة باعوا أملاكهم واستعدوا للرحيل " ...

رددت قائلا: " لن يسمع أبو عبد الله بحدوث ذلك وسوف يعاقب من باعوا أملاكهم ووطنهم للقشتاليين" ...

غاضني الأمر فسألته في غضب: ما المضحك في كلامي؟!

هدأ قليلا ثم قال بصوت يقطر حزنا ومرارة: " يا أحمق! لقد كان أبو عبد الله أول من باع...يبيع كل ممتلكاتهم وقبضوا أثمانها " ...

فأتبع ابن زيدون كلامه قائلا بصوته المتهدج من أثر البكاء" لقد أخذوا ذهبهم وفضتهم وسيغادرون...كيف نأخذ نحن تاريخنا وتراثنا ودماء أجدادنا؟!"...

فأكمل كلامه قائلا: " لوكان المجد والشرف يباعان، فهل تعرف ثمنهما؟!"...»[1]

والحوار الذي دار بين " علي بدية " ورئيس محكمة التفتيش " خميسين":

فجأة شعرت بيد تمسك كتفي بقوة وصاحبها يقول لي:

" ماذا بك يا علي؟! أحوالك لم تعد تعجبني، أهناك شيئا لا أعرفه؟!"...

رددت في سرعة وأنا أتلعثم في الكلام قائلا:

(لا شيء يا سيدي أنا في خير) ...

[1] الرواية ص .38،39،40

قال في صوت عميق: " بدية.. أنت تنحدر من سلالة نجسة، خانت الرب، لذلك يحب أن تثبت أنك مخلص للرب للكنيسة؟!...

وأنا أقول في خوف واضح" أَبَلَغَك شيء سيء عني يا سيدي؟!....

قال: " أنت رجل مخلص للرب يا بدية، أتمنى أن تظل هكذا دائما....»[1]

كان هذا مقطع من حوار طويل دار بين "على بدية" و" خميسين" كشف لنا عن وجهات نظر الشخصيات ومشاعرها وأرائها مما أدت إلى تباطؤ في سرد الأحداث.

ولقد كثرت المشاهد من هذا النوع في الرواية فساهمت في جعل السرد يبدو بطيئا، بالإضافة إلى جعل الأحداث تبدو أكثر درامية وأكثر واقعية، وقد صعب علينا الإحاطة بها كلها، فهذا ليس إلا جزءا صغيرا، والآن سنتطرق الى النوع الثاني من أنواع الحوار:

ب. حوار مع الذات (المونولوج):

وهو الحوار الذي يدور بين الشخص ونفسه، أي هو الحوار الداخلي، «وهو من أبرز تقنيات رواية تيار الوعي الحديث، وهو كما يعرفه الكاتب الفرنسي "إدوارد دي جاردان" بأنه وسيلة إلى إدخال القارئ مباشرة في الحياة الداخلية للشخصية، دون أي تدخل من جانب الكاتب بالشرح أو التعليق»[2]، وبالعودة إلى "رواية الأندلسي الأخير"

[1] الرواية ص 55،54

[2] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص113

نجد الحوارات الداخلية في قول "علي بدية " «أخذت أتساءل: كيف تمكن الشيخ عمر من كتابة كل هذا الكم من العربية؟! مع أنه أعلمنا...تريد محو كل ما هو إسلامي وعربي في الأندلس»[1]، فهنا "علي بدية" سأل نفسه دون غيرها متعجبا كيف كتب الشيخ عمر الكتاب بالعربية لأن محكمة التفتيش اعتبرت اللغة العربية نجسة وكانت تريد محو كل ما هو عربي وإسلامي، حيث يظهر من خلال هذا الحوار باطن نفسية "علي بدية" وما كان يختلج نفسهُ من أفكار ومشاعر.

ويقول أيضا "علي بدية" في موقع سردي آخر محدثا نفسه: «أخذت أحدِّث نفسي وأنا أسير في شوارع غرناطة كيف هان على هؤلاء أن يبيعوها بأبخص الأثمان؟! (أمثال هؤلاء لا يستحقون حتى الحياة، أي مكان سيرحلون...سوف يبيعون أي بلد آخر)»[2]، "علي بدية" يحاور نفسه ويسألها متعجبا كيف طاوعتهم قلوبهم ليبيعوا غرناطة بدارهم معدودة وقد مات عليها وضحى من أجلها أناس قبلهم أمثال الشيخ موسى، وعليه ففي هذا المقطع يمكن للقارئ أن بتعرف على موقف "علي بدية " من تخلوا على غرناطة

ويتجدد المونولوج مجددا في قوله: «إنّ هذا الحلم هو بشارة من الله أني سأذهب إلى هناك ولكن كيف.. وأنا ممنوع من مغادرة غرناطة فكيف سأغادر الأندلس كلها»[3]،

[1] الرواية، ص22، 23
[2] الرواية، ص40
[3] الرواية، ص90

فهنا بعد أن شاهد علي بدية نفسه في حلم أنه في صحراء قاحلة وقف أمامه رجل يرتدي أبيض والنور يشع منه يقول له مرحبا بك في بيت الله الحرام. فكر أن هذا الحلم بشارة له بزيارة مكة المكرمة، وأخذ يتساءل كيف يخرج من غرناطة وهو محرَّمٌ عليه الخروج من الأندلس كلها.

ونجد الحوار الداخلي في هذا المقطع السردي أيضا «هل سأذهب الآن من غرناطة؟! هل سأغادر أرضي.. أرض آبائي وأجدادي سلام الله عليك يا أندلس»[1]، ويترجم هذا المونولوج نفسية "بدية " الحزينة والمنهارة بحيث خيَّم الحزن على "علي بدية" لأنه سيغادر أرضه وأرض أجداده، غرناطة التي قضى فيها صغره وشبابه، وها هو اليوم سيغادرها رغما عنه.

ومن الحوارات الداخلية نجد أيضا هذا المقطع السردي الذي يقول فيه "علي بدية": «قلت في نفسي: كيف يكون الرَّبُ معنا.. ونحن ذاهبون لقهر أناس وتعذيبهم وتنصيرهم بالقوة»[2]، كلمات قالها علي بدية حينما قال له الراهب وهم على ظهر السفينة أنها تبدو رحلة هادئة، وممتعة فالرب معنا بكل تأكيد، وعليه فتقنية المونولوج نلاحظ أنها قد ساهمت في تعطيل السرد من حين لآخر بالإضافة إلى الكشف عن بواطن الشخصية. هذه كانت مجموعة من الحوارات الداخلية المتواجدة في الرواية،

[1] الرواية، ص106

[2] الرواية، ص107

حيث نلاحظ من خلال دراستنا هذه أنّ الحوار مع الغير قد ورد بكثرة مقارنة مع الحوار مع الذات في هذه الرواية.

2.2. الوقفة:

تعني الوقفة في السرد غالبا توقف الراوي عن سرد الأحداث والتوجه إلى وصف ما، وهذا ما يجعل الزمن السردي يتوقف لأن الأحداث توقفت، سواء أكان الوصف وصفا لمكان أو لشخصية أو وصفا للطبيعة، فبظهور الوصف يتوقف السرد مما يؤدي إلى إبطاء الزمن، وينتج عنه مفارقة زمنية.

في النظام الزمني للقصة، ثم يعود لإستئناف سرد القصة بعد انتهائه من الوقفة الوصفية»[1]، ومن وظائف الوصف في الرواية الوظيفة الجمالية والفنية ذلك أنّ الوصف يزيد الرواية وضوحا وجاذبية ،حيث يركز فيها الراوي على زخرف القول إضافة إلى الوظيفة التفسيرية التي يعتمد فيها الراوي على إبراز الجانب النفسي والإجتماعي للشخصية في الرواية» [2]، كما يمكن التمييز بين نوعين من الوقفات الوصفية : الوقفة التي ترتبط بلحظة معينة من القصة حيث يكون الوصف متوقفا أمام

[1] ينظر: محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص97

[2] ينظر: آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص143

شيء أو عرض Spéctacle يتوافق مع توقف تأملي للبطل مع نفسه، وبين الوقفة الخارجية عن زمن القصة والتي تشبه إلى حد ما محطات الإستراحة يستعيد فيها السرد أنفاسه ويُعيد فيها القارئ ترتيب أفكاره» [1]، وبالعودة الى رواية " الأندلسي الأخير" نجد العديد من الوقفات الوصفية منها:

أ. وصف الشخصيات:

ونجد هذا النوع من الوقفات في المقاطع التي يتم فيها، وصف مظاهر الشخصية الخلقية أو بواطنها النفسية ومثال ذلك قول الراوي عن فرحات: «كان فرحات متعكر المزاج ذلك اليوم»[2]، حيث وصف الحالة النفسية التي كان عليها فرحات بائع الكتب بسبب صفقة الكتب الباهظة الثمن التي حصل عليها ولم يقدر على تسويقها.

ومن المقاطع الوصفية أيضا نجد قول الراوي: «كانت دموعي تتساقط كلما مررت على تلك الأحداث»[3]، بحيث وصف لنا الراوي شعوره بالحزن الشديد عند قراءته للأحداث التي مرت بها الأندلس وشعبها.

[1] ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ،175

[2] الرواية، ص10

[3] الرواية، ص17

وفي مقطع سردي آخر يقول الراوي: «كنت أشعر وكأن أحزان المورسكيين تطوف صفحات الكتاب مسطرة سطوره بدمائهم وأشلائهم ودموعهم الغزيرة التي ذرفوها على الإسلام في الأندلس»[1]، هنا كذلك يصف لنا الراوي شعوره وأحاسيسه حين بدأ بقراءة الكتاب الذي يتحدث عن تاريخ الأندلس.

كما نجد "علي بدية" في مقطع سردي آخر يصف فيه الشيخ عمر فيقول «كان بمثابة معلمنا وقائد المورسكيين، كان لنا هو الأمل الذي يتجدد في نفوسنا كلما رأيناه»[2]، فهنا "علي بدية" يصف لنا الشيخ "عمر" شيخ المورسكيين والأندلسيين الذي كان يعلمهم الإسلام والقرآن الكريم فكان بمثابة معلمهم وإمامهم.

وفي مقطع سردي آخر يقدم أبا الحسن الغرناطي وصفا للشيخ موسى فيقول: «موسى أبي الغسان فارس غرناطة وآخر من يطلق عليهم لقب الرجال»[3]، فقد وصف الشيخ موسى بفارس الأندلس ووصفه بالشجاعة والتضحية بقوله آخر من يطلق عليهم لقب الرجال.

وفي وصف العجوز نجد "علي بدية" يقول: «من بعيد شاهدتها تجلس وحدها عجوز متشحة بالسواد كأنها تجسد حال غرناطة هذه الأيام كانت تبكي ويصدر منها

[1] الرواية، ص17

[2] الرواية، ص 22

[3] الرواية، ص26

صوت ضعيف»[1] حيث وصف لنا "علي بدية "حال العجوز التي رآها تبكي وتردد بعض الكلمات بحزن وانكسار وتتألم لحال غرناطة، خاصة بعد أن مات الغساني.

وفي هذا المقطع السردي يصف "أيا الحسن" حبيبته طروب وصفا خارجيا فيقول «كانت جميلة، فاتنة، أندلسية، وهل في الدنيا مثل طروب؟!»[2]

ونجد في مقطع سردي آخر، "علي بدية" يصف الطفل الصغير فيقول «شاهدت طفلا صغيرا يجلس على عتبة المسجد وهو يبكي، اقتربت منه وربتُّ على كتفه برفق، كان الولد يبكي بحرقة شديدة»[3]، بحيث وصف لنا "علي بدية" حال الطفل الذي كان يجلس على عتبة المسجد لأن أباه قبل أن يتوفى قال له إذا انهزمنا فلن تسمع الأذان في غرناطة بعد الآن.

ومن المقاطع الوصفية أيضا نجد قول "علي بدية": «لكنه كان مقعدا منذ الصغر، لكن الله منحه موهبة الكلام وحسن البيان فكان خطيبا لا يشق له غبار، أما الآن فكل جميل في غرناطة.. قد ذهبت أيامه»[4]، هنا أخبرنا على بدية أن صديق طفولته ابن زيدون كان مقعدا منذ صغره لكن الله عوضه بموهبة أخرى وهي حسن الكلام والبلاغة فكان خطيبا.

[1] الرواية، ص 30
[2] الرواية، ص33
[3] الرواية، ص 34
[4] الرواية، ص38

وفي هذا المقطع السردي وصف لنا على بدية نفسيته حينما وجد صديق طفولته متوفيا فيقول «فوجدته نائما على سريره اقتربت منه لأوقظه ... تلاشت أمام أعيني كل الفوارق بين الرجال والنساء»[1]، حيث وصف لنا "علي بدية" مشهد ابن زيدون وهو متوفي وحزنه الشديد عليه حتى أنه بكى وانتحب مثل النساء.

وأيضا نجد قول الراوي في وصف كاميليو: «كان كاميليو رجلا مسنا ناهز السبعين من عمره أو أكثر أحنت السنين ظهره ويبدو عليه عناء الزمن، لكن ومن نظرات عينيه تشعر أنه يمتلك روحا قوية»[2]، حيث وصف لنا على بدية حال كاميليو الذي كان مسلما هو الآخر وأخبرنا أنه رجل مسن في السبعين من عمره تقريبا لكنه ما يزال قويا.

كما تتجلى الوقفة في هذا المقطع السردي أيضا: «كانت امرأة في حوالي الأربعينات من عمرها، ترتدي ملابس النصرانيات الإسبانيات»[3]، حيث وصف لنا "علي بدية" المرأة المسلمة "أبدة" التي كانت توصل إليه المعلومات التي من خلالها يتواصل المسلمين المتبقين فيما بينهم، وكيف أنها كانت تتخفى تحت أزياء النصرانيات لكي لا يتم التعرف عليها أنها مسلمة.

[1] الرواية، ص50

[2] الرواية، ص71

[3] الرواية، ص 75

كما نجد الوقفة الوصفية في قول الراوي وهو يصف "سرفيتوس" الذي كان نصرانيا ولكن موحدا فيقول «كان سرفيتوس طبيبا إسبانيا عالما متفكرا في ملكوت الله»[1]، سرفيتوس الذي كان نصرانيا وعارض الكثير من آراء الكنيسة وأثبت في كتابه أن الله واحد، أحد وعندما أكتُشف أمره من طرف محكمة التفتيش، ونفذ أمر حرقه كانت المفاجأة أنه توفي لكن النار لم تحرق جسده أو حتى كتابه.

ب. وصف الطبيعة:

تركز المقاطع الوصفية في هذا النوع من الوقفات على وصف الطبيعة ومظاهرها، هذا ما يعطي للقارئ تصورا عن الطبيعة والفضاء الذي تحري فيه الأحداث ومثال هذه المقاطع الوصفية نجد قول "علي بدية ": «كانت الشوارع كئيبة وخالية، والرياح تصفر في جنباتها أو تصرخ»[2] ،حيث وصف لنا "علي بدية "الشوارع الخالية بعدما اعتاد عليها من قبل وهي مملوءة متزاحمة يملأها الضجيج.

كما يقول علي بدية في مقطع آخر «كانت شمس الظهيرة قوية هذا اليوم، دائما كانت شمس غرناطة قوية»[3] ،فقد وصف لنا شمس غرناطة التي دائما ما تكون قوية مشعة ساطعة.

[1] الرواية، ص 92

[2] الرواية، ص33

[3] الرواية 42

كما نجد الوقفة الوصفية في صورة وصف للطبيعة في قول علي دية «قبيل فجر غرناطة خرجت من منزلي لأشاهد فجر غرناطة الحزين، كانت الشوارع خالية تماما لا أثر فيها لأي إنسان»[1] ،بحيث أعاد لنا وصف حال غرناطة الكئيبة وشوارها الخالية، وفي إعادة وصف شوارع غرناطة الحزينة ترجمة للمشاعر التي كانت تختلج فؤاد الراوي وهو يرى غرناطة فارغة بل حزينة بعدما كانت عامرة بالناس أيام تواجد العرب فيها قبل سقوطها.

ج. وصف الأماكن:

تعددت أيضا في الرواية المقاطع الوصفية التي يؤثث من خلالها الراوي مختلف الأمكنة التي تقع فيها الأحداث، ومن بين هذه المقاطع الوصفية نجد قول "علي بدية": «وفي يوم تنفيذ الحكم امتلأت الساحة عن بكرة أبيها بالذين جاؤوا لمشاهدة الكفار الذين خانوا الرب»[2] ،هنا يصف لنا على يدية امتلاء الساحة عن آخرها حينما كانوا سيحرقون عائلته بسبب خيانتهم للرب على حسب قول محكمة التفتيش.

ويتكرر وصف الساحة مرة أخرى فيقول "علي بدية": «كانت الساحة مملوءة»[3]، بحيث أعاد علي بدية وصف الساحة المملوءة مثلما كانت مملوءة حين حُرقت عائلته، لكن هذه المرة حُرقت المسلمة أبدة التي كان يعتبرها بمثابة أمه.

[1] الرواية، ص50

[2] الرواية، ص61

[3] الرواية، ص80

ويقول "علي بدية" في وصف المكتبة: «كان المكان شديد الاتساع، عبارة عن رفوف كبيرة اصطفت عليها المجلدات التي تحوي الوثائق»[1] ،قام على بدية بوصف مكتبة القبو بالاتساع وأنها كانت تحوي على عدة وثائق ومجلدات.

ومن خلال معاينتنا لمختلف التقنيات المساهمة في تعطيل السرد لاحظنا أن تقنية الحوار الخارجي من أبرز التقنيات التي استعملها الراوي أثناء السرد، بالإضافة الى تقنية وصف الشخصيات، فساهمتا التقنيتان معا (الحوار والوصف) في إيهام القارئ أن ما يجري في الرواية حقيقة وهو يرى الشخصيات تتحاور فيما بينها، ويتخيّل أوصافها الخارجية ومشاعرها الباطنية عن طريق الوقفات الوصفية.

[1] الرواية، ص100

خاتمة

خاتمة

في ختامنا لهذا البحث المتواضع توصلنا إلى مجموعة من النتائج نوجزها في النقاط التالية:

- رواية "الأندلسي الأخير" هي رواية للكاتب المصري أحمد أمين تدور أحداث هذه الرواية في إطار تاريخي يأخذ بك في رحلة عبر الزمن لإكتشاف الصراع الثقافي والديني بين المسلمين والمسيحين إبان سقوط حضارة الأندلس.

- لعب عنصر الزمن، وطريقة التعامل معه في السرد دورا مهما في بناء العمل الروائي. والحفاظ على ترابط وتناسق أحداثه.

- لقد تعددت واختلفت تعاريف الزمن بحسب تنوع زوايا نظر الدارسين في رؤيتهم لماهية الزمن.

- عنصر الزمن لا يمكن الإستغناء عنه، في كتابة أي عمل روائي والزمن له عدة أنواع من بين هذه الأنواع الزمن الطبيعي، الزمن النفسي، الزمن الأسطوري.

- انبنى نظام سرد الأحداث في الرواية، على المفارقات الزمنية بمختلف أنواعها، حيث اعتمد عليها السرد كوسيلة للانتقال بين الماضي والحاضر. وتقديم الأحداث بطريقة غير متسلسلة، وذلك من خلال استعماله لتقنية الإسترجاع للماضي من أجل تغطية بعض الفجوات الزمنية، وإكمال النقائص الموجودة في الأحداث.

– أما الإستباق فقد جاء بصفة توقعات، لما ستؤول إليه الأحداث المستقبلية للشخصيات. ونلاحظ أنه لم يرد بكثرة في الرواية لكي لا يؤثر على تشويق المتلقي لما سيحدث مستقبلا.

– كذلك نجد التلاعب بالزمن في الرواية من خلال المزاوجة بين تقنية التسريع والتبطيء، وتجلي إيقاع السرعة في تقنيتي الحذف والخلاصة حيث اختصر بهما السارد الكثير من الأحداث الغير المهمة، متجاوزا بعض الوقائع الهامشية أما إيقاع البطء فيظهر في تقنيتي المشهد والوقفة، ففي المشاهد الحورية يظهر في السرد بعض التوازن والتقارب بين زمن القصة وزمن والحكاية، أما في الوقفات الوصفية فالقارئ يحس بالزمن وكأنه متوقف خصوصا في الوقفات الوصفية الخالية من تعليقات الراوي.

– كما نلاحظ أيضا بروز تقنية المنولوج الداخلي في الرواية، سواء المباشر أو غير المباشر حيث يعني الأول حوار الشخصية مع ذاتها دون لجوء إلى تدخل الراوي، أما الثاني فالراوي يلعب دور المتحكم في الشخصية وحوارها مع نفسها حيث يعتبر وسيطا في ذلك.

– كانت هذه جملة النتائج التي توصلنا إليها في دراستنا لمكون الزمن في رواية "الأندلسي الأخير" لأحمد أمين. ويمكن القول رغم هذه نتائج التي توصلنا إليها أن الباب مفتوحا لمن يريد التوسع أكثر في هذه الدراسة.

الملحق

ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية حول قصة شاب اكتنفه الملل فاقتنى عدة كتب من عند فرحات بائع الكتب القديمة، فبدأ بتصفح الكتب سريعا لكن شدّ انتباهه كتاب قديم تنبعث منه رائحة التراب ملفوف بقماشة مهترئة بدأ بتصفحه فوجده ينقسم إلى قسمين ويمر بثلاثة مراحل زمنية والذي كان مكتوب بالخيميادو وهي لغة المورسكيين فقرر ترجمته للغة العربية كونه يفهم لغة المورسكيين.

أما القسم الأول فهو لأبي الحسن الغرناطي، يتحدث عن مخطوطة عربية تضمنت أحداث خمسة أيام الأخيرة في غرناطة قبل سقوطها بسبب تخاذل أهل غرناطة، وخيانة أبي عبد الله بن الأحمر ووزرائه، وعدم نصرة دول الإسلام لهم كمصر والدولة العثمانية.

أما الجزء الثاني فهو رحلة "علي بدية "تحدث فيه عن أحداث مؤلمة جدا في حياته، كما تحدث عن محكمة التفتيش كيف كانت تعذب المسلمين وتجبرهم على أكل لحم الخنازير و لحوم الموتى، كذلك منع اللغة العربية ومن وجد معه كتاب بالعربية أو نطق بها فيحرق حيا في حفلاتهم في الساحة، كما حُرقت عائلة " علي بدية" أمام أعين ابنهم، ثم أخذوه إلى الكنيسة ليتعلم تعاليم الدين المسيحي فأصبح علي بدية مسيحيا أمام أعين الناس ومسلما بينه وبين نفسه، وتعرف علي على الشيخ عمر و القس كاميليو المسلمان، وبعد أشهر قليلة حرق فيها الشيخ عمر ومعه القليل من

المسلمين الذين كانوا يصلون داخل المسجد واكتشفت محكمة التفتيش أمرهم، وتوفي القس كاميليو أيضا بعد أيام بسبب مرضه وكبر سنه، فلم يتبقى سوى "علي بدية "

في إحدى الأيام جاءه القس خميسين وطلب منه أن يكون من بين الذاهبين إلى مكة لكي يدعو الناس للإيمان بالنصرانية هنالك، فاستعدا للذهاب وأخذ معه أوراق ملفوفة تعتبر تراث الأندلس، ركبوا السفينة وتوجهوا نحو مكة، وماجت بهم السفينة وغرق كل من معه فلم يتبق إلاّ علي بدية، فوجده تجار مصريين وأنقذوه، كان سعيد جدا وهو يصلي جماعة فهو لم يصلي جماعة منذ كان في التاسعة من عمره على حد قوله.

تنتهي أحداث الرواية عندما انتهى الشاب من ترجمة الكتاب إلى العربية وهو يشعر بالحزن والبكاء، فقد كان يشعر حين قراءة الكتاب أنه يحيا في زمن المورسكيين وقد جاءت أحداث القصة كلها في 114 صفحة، إضافة إلى وجود بعض الحقائق التاريخية في 13 صفحة.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. المصادر:

أحمد أمين، الأندلسي الأخير، حروف منثورة للنشر الإلكتروني، ط1، 2017.

أ-المراجع العربية

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 04، دار صادر، ط1، بيروت.

2- الفيروز أبادي، قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج04، ط1 ،1999م.

3- عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،2008.

4- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط01 ،2015.

5- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ،2015.

6- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، سلسلة (ابداع المرأة).

7- إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط01 ،2009.

8- محمد عيسى، تيار الزمن في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر ،1991.

9- حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة، مكتبة الأدب المغربي، دار نبنوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق ،2011.

10- سمر روحي الفيصل، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،1986.

11- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي، ط1 ،1990

12- فخر الدين محمد بن عمر الحراري، المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعة، كاميهوترى، علوم الإسلامية

13- أحمد كمال زكي، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة مصر، ط2, 2000م

14- مها حسن قصراوي، الزمن في الرواية العربية، بيروت لبنان، ط1 ،2004

15- أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكله الفني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2000

16- كريم حسام الدين، الزمن الدلالي، المكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط11 ،1991

17- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي بيروت،1989

18- عالية محمود صالح، البناء السردي في روايات الياس الخوري، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط01, 2003

ب. المراجعة المترجمة:

1-جيرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر محمد معتصم وعبد الحليم الأزدي، ط27

2-جيرالد برنس، قاموس سرديات، تر سيد الإمام، بيروت للنشر والتوزيع، القاهرة مصر ط1 ،2002

3-جان ريكاردو، قضايا الرواية الحديثة، تر صباح الجهيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط1 ،1979

ج. المراجع الأجنبية:

1-G. Genette, Figure03, edition seuil 1972, p101.

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
اهداء	–
شكر وعرفان	–
فهرس المحتويات	–
مقدمة	**1**
مدخل مفاهيم عامة حول الزمن والزمن السردي	
1. مفهوم الزمن	5
أ. الزمن لغة	5
ب. الزمن اصطلاحا	6
2. أنواع الزمن	7
أ. الزمن الطبيعي (الموضوعي)	7
ب. الزمن النفسي	8
ج. الزمن الأسطوري	9
3. أهمية الزمن السردي	10
4. مفهوم البنية السردية	11
أ. البنية لغة	11
ب. البنية اصطلاحا	11
ج. السرد لغة	12
د. السرد اصطلاحا	12
البنية السردية	13
5. زمنية عند جيرار جنيت	14

أ. الترتيب	14
ب. الإستباق	15
ج. المدة أو السرعة	16
د. التواتر	16
الفصل الأول: المفارقات الزمنية في رواية الاندلسي الاخير	
تمهيد	18
1. الاسترجاع	19
1.1. أنواع الاسترجاع	20
أ. الاسترجاع الخارجي	20
ب. الاسترجاع الداخلي	23
1. الاسترجاع التكميلي	24
2. الاسترجاع التكراري	26
ج. الاسترجاع المختلط	28
2. الاستباق	29
1.2 أنواع الاستباق	29
أ. الاستباق كتمهيد	30
ب. الاستباق كإعلان	33
2.2 وظائف الاستباق	38
الفصل الثاني: المدة واقاع الزمن في رواية الاندلسي الاخير	
1. تسريع السرد	41
1.1 الحذف	41
أ. الحذف الصريح	42

1.الحذف المحدد	43
2. الحذف الغير محدد	43
ب. الحذف الضمني	45
2.1. الخلاصة	48
2. تعطيل السرد	52
تمهيد	52
1.2. المشهد (الحوار)	53
أ. حوار مع الغير	53
ب. حوار مع الذات (مونولوج)	58
2.2 الوقفة (الوصف)	61
أ. وصف الشخصيات	62
ب. وصف الطبيعة	66
ج. وصف الأماكن	67
خاتمة	**70**
الملحق	**73**
قائمة المصادر والمراجع	**76**